سنابل القَلَم

أ.د. حسين جمعة

سنابل القلق

-شعر -



الإهداء

إلى الأنثى التي سكنَتْ

في الفؤاد والحياة؛

أماً وزوجة

أختاً وصديقة

إلى الوطن المُنَدَّى بعطر الورد؛

والمُسَيَّجِ بدماءِ الشهداء...

مقدمة

يمضي المبدعون حاملين أشواقهم وآمالهم قلقاً دانية قطوفه ؛ وتوقاً إلى اللهفة الأولى للحرف في نسغ الروح ؛ وقد أهداها أسراره الناطقة بشلال من المعاني والمشاعر التي تعبّر عن الحياة. ولذا كانت قصيدة الرؤيا التي تنطق بفكرة أو رسالة قادرة على الثبات بالذاكرة الجمعية ؛ وتحدّي كل عوامل الفناء... إنها القصيدة التي تخترق الحجب بما تتميّز به من تفرّد على صعيد الطبيعة الفنية والوظيفة ؛ وبما تؤدّيه هذه الوظيفة من أغراض متنوعة... وهذا ما عرفه العرب منذ

القديم حين أجمع غالبية النقاد على أن أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركِبَ ؛ وعنترة إذا كَلِب ، وزهير إذا رَغِب ، والنابغة إذا رهِب ، والأعشى إذا طَرِبَ...

ومن ثم فإن حضور الإبداع في الذاكرة يستدعي تفضيل قصيدة على أخرى ، واستجادتها أو اختيارها لأسباب كثيرة ما يجعلها مقدمة على غيرها ، لِمَا تحقّقه من لذَّة جمالية ترسي السعادة والراحة في النفس أكثر من غيرها ؛ ما يجعلها راسخة في الذاكرة الجمعية كما وجدناه في المعلقات السبع ، أو التسع. وما علّقت هذه القصائد إلا لاستحسانها وتميزها في بنيتها الفنية والموضوعية ، ما جعلها تحقّق في نظرهم مفهوم نظرية (عمود الشعر)... وكذا ظل الشعر الأصيل حتى استلمه بشار بن برد وأبو نواس وأبو تمام والبحتري وهاج به

المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، فارتقى حقولاً لم يسبقه إليها الشعراء؛ ما جعل المعري يعجب له ويطلق على إبداعه (معجز أحمد)...

وإذا كان لكل قصيدة شخصيتها فإنها تتكامل مع غيرها عند أي مبدع لتعبّر عن رؤيته وأفكاره ومشاعره من جهات عدة وفي طليعتها قدرته على التفرّد بلغة القصيدة وبنيتها وترتيب مقاطعها، أو ما سمّي عمارة القصيدة.

إن لغة الإبداع تهيج في الذات المبدعة لتطير بأحلامها ومشاعرها عاشقة لكل ما هو جميل ومثير، مبتهلة بين يدي الحروف والتراكيب والصور متماهية بالكون لتحدث عالم الدهشة الذي تعبّر عنه القصيدة المتفرّدة التي ترسي جمالياتها الخاصة لدى المتلقّي. وما قلناه عن كَسْر أفق التوقّع عند

القارئ لا يعني أن المبدع معزول عن الوسط المحيط به أو أنه أصبح مهموماً بالغرائبية والعجائبية والغموض، ولكل موقعه. فما من مبدع ينطلق من فراغ ذاتياً وموضوعياً وهو ـ في آن معاً ـ يحمل رسالة متعلقة بالآخر، فضلاً عن أن الذات لا تعرف إلا بالآخر.

فنار الإبداع لا تتوهّج إلا في زمان ومكان يعتمد الذوق والمعرفة في آن معاً؛ ويحوز حالة الرضى لدى الآخر؛ فما قيمة قطعة فنية جميلة ليس لها رؤيا تفيْض بها ويرضى عنها الآخر، على نحو ما؟! إنها أشبه بقطعة جميلة من النحاس، فقيمتها المادية بمقدار ثمن النحاس ولكن قيمتها الفنية قد تكون مختلفة، وهي تختلف عن قيمة قطعة مماثلة جمالياً ولكنها مكوّنة من الذهب.

وهـذا لا يعـني أن الإبـداع غـدا مـادة علميـة قائمـة علـى الحِجَاج بوصفه استدلالاً على رسالة مـا... وإنمـا يـأتي الحِجَـاج بمقتضى الشعر ؛ ما يجعله بعيـداً عـن الأسـلوب العلمـي القـائم على الحجة والبرهان ؛ وإن اتكأ عليه في بعض الصور والتشابيه للوصول إلى أهدافه وفق الحقل الدلالي الذي يعالجه.

فأي خطاب فكري أو فني إنما يحقق الشروط الموضـوعة له في الظاهر والباطن ؛ والجلي والخفي ، والقريب والبعيـد ، وهو يكتسب قيمته من قدرته على التأثير في نفس المتلقي ؛ ما يبعد الفن ـ عامة ـ والشعر خاصـة عـن مفهـوم الذرائعيـة أو النفعية التي يعتمدها أسلوب الحِجَاج الفكري ، فالهدف مـن الرسالة في الشعر لا ينفصـل عـن المتعـة الجماليـة ... وهـذا مـا حَرَصنا عليه ، في الوقت الذي حرصنا على الوضوح والدقة في الوصف والإصابة به...

إن مفهوم الغرائبية يعالج رسالة ما، على لسان حيوان ما؛ رسالة قد تبدو في ظاهرها غير معقولة؛ بيد أنها تنتهي إلى تفسير عقلاني لمغزى ما... وهو مختلف عن مفهوم العجائبية الذي يخرج عن المألوف، ولا ينتهي إلى تفسير عقلاني كما هو مفهومنا عن (الغول) أو كما يحدث اليوم في حياتنا من إرهاب تكفيري بشع لم يعد أحد قادراً على تفسير أسبابه ونتائجه... ولذا فإن الإبداع بوصفه اختراعاً متفرداً على مثال سابق يتمسّك بحبله السريّ ليكون جواباً عن أسئلة شتى مباشرة وغير مباشرة؛ قريبة وبعيدة؛ خفية وجلية، وإذا كان قد قيل منذ القديم: إن الشعر برمّته شعر غنائي، أي ذاتي؛ فإننا نقول: ما من شعر ـ أياً كان نمطه ـ إلا نفثة روحية من الذات الفردية الممزوجة بالذات الجمعية؛

والقائمة في الوسط الذي يفجّر فيها عناصر شتّى من المغـامرة والمبادرة... ما يعني أن الإبداع حضور وغياب في وقت واحد. وهذا ما توصَّل إليه أجدادنا القدامى حين تحـدّثوا عـن الطبـع والصنعة ؛ إنه ـ باختصار ـ حلم الذات والواقع والثقافة....

وهذا ما يعبّر عنه ديواننا (سنابل القلق) الذي نرجو لـه القبول.

حسين جمعة

خوارج العصر

طَـــالَ التفكُّـــرُ لَيلـــةَ الإســـراءِ[1]
في دَوْحَـــةِ المـــوتِ العَصِـــيِّ الـــدَّاءِ

كُـــلٌّ يَهـــيجُ بـــذِكْرِها مُتَحسِّـــراً
يرنـــو إليـــه مُحَمَّـــلاً ببُكـــاءِ

يمضـــي مَلِيْـــكُ المـــوتِ في سُـــلْطانهِ
مُتَحكِّمـــاً بـــالخَلْقِ والغَبْـــراءِ

[1] إشارة إلى ما كان من بني إسرائيل في سورة الإسراء 17/ الآية 4 ـ 7.

لا يَلبَـــــثُ القُرَنـــــاءُ أَنْ يتفرّقـــــوا[1]
مهمـــا اســـتظلَّ القَـــوْمُ بالأفيـــاءِ

* * *

كـــانَ الخُـــوارجُ مـــن زمـــانٍ أعْلَنـــوا
المـــوتُ مـــاتَ بمَـــوتِ ذي الّـــلألاءِ[2]

كـــانوا أمـــاتوا مـــوتَهُمْ بعقـــولهم
ركضُـــوا إليهـــا في الـــرَّدَى بـــرِواءِ[3]

إذْ قَـــدْ تحـــدَّوا مـــوتَهمْ بمعـــاركٍ
لم يرعُـــووا عـــن هَتْـــكِ ذات فِنـــاءِ

---

(1) شطر بيت للشاعر الأموي (جرير) من قصيدة في رثاء زوجته.
(2) ذو اللألاء: صاحب البريق والتوقد.
(3) الرِّواء: المرآة، والمنظر والمشهد.

مَـــنْ هـــابَ أســـبابَ المنايـــا نِلْنَــهُ[1]

مـــــا للمنايـــــا كوكـــــبٌ أو راءِ

هـــم يَحسَـــبونَ الفَهْـــمَ عنـــد إمـــامِهمْ

أَوْلَـــــى يقينـــــاً إِذْ مضـــــى بهُـــــراءِ

في الليـــلِ تلقـــاهم خشـــوعاً رُكّعـــاً

لا يبرحـــــون قـــــراءَةَ القُـــــرَّاءِ

فـــإذا عـــلا صُـــبْحٌ بنـــورِ ضـــيائهِ

جـــاروا، وبـــادوا رُوْحَ ذي الأحيـــاء

---

(1) شطر من المعلقة المشهورة لزهير بن أبي سلمى

قتلــــوا بَرايـــا ، دنَّسُـــوا أَعْراضَـــها

بقـــروا بطونـــاً ، مثّلـــوا بنســـاءِ

مَرَقُــوا مــن الــدينِ الحَنيــفِ بــإِثْمِهم

إذ فـــارقوا مـــا جـــاء في الإفتـــاءِ

بـــاعوا حيـــاةً ، خـــالفوا بعقيـــدةٍ

طاشـــتْ سِـــهاماً لا تُـــرى بثنـــاءِ

قَــدْ خَبَّــر المَصْــدوق في أَوْصــافهم[1]

أَنْ لا أَمـــانَ لهـــم بكُـــلّ فَضَـــاءِ

* * *

[1] حديث رسول الله ﷺ مشهور بالخوارج "يمرقون كما يمرق السهم من الرمية...."

يـــا صـــاحبي هـــذا حـــديثٌ ثابـــتٌ

في ديننـــــا مُـــــذْ جـــاء بالرحمـــــاءِ

عـــادَ الزَّمـــانُ وعـــاودت أفكـــارهُم

في بعـــض مـــن أفتـــى بخُبْـــثِ دهـــاءِ[1]

مـــا أشـــبهَ العهـــدَ القـــديمَ بعَصْـــرنا

مَـــوْتٌ رحـــيم مـــن يـــد الـــدَّهْماءِ

أَنَّـــى نَظَـــرْتَ وَجَـــدْتَ في جلْبـــابِهمْ

ســـوءَ الصَّـــناعِ ومـــا دَرَوْا بقضـــاء

---

[1] كناية عن فتاوى عدد من شيوخ الفتنة والقتل قبل الأزمة السورية وخلالها.

هَتَكـــوا الكرامَـــة لم يبـــالوا حُرْمـــةً

يـــا ربقـــةً نبتَـــتْ علـــى البَغْضَـــاءِ!!

قـــد شـــوَّهوا أفكـــار قَـــوْمٍ رُكَّـــعٍ

صـــاروا مـــلاذ الحـــق في البَيْـــدَاء

إن كنـــتُ قـــد قلـــتُ الحقيقـــةَ مُـــرَّةً

مِثْـــــل العِطَـــــاشِ إلى زلال المـــــاء

أو مثـــل شَـــطٍّ تـــاه خَلْـــفَ بحـــورِهِ

هَـــبْني شـــعاعاً مـــاجَ في الأَضْـــواءِ

وطـــــني مُعَنًّـــــى بالــــدماءِ تنالـــهُ

كُـــلُّ الخبائـــث تُرْتَـــدى بغَبـــاءِ

مـــن فتيـــةٍ ضَـــلُّوا طريقـــاً راشـــداً

عـــاثوا فســـاداً طِيْـــرَ بـــالأرزاءِ

يـــا وَيْحَهـــم إذ مـــا يلاقـــوا ربَّهـــم!!

كيـــف الرجـــاء لمـــن قَضَـــى بشـــقاء!!

(2014/7/15م)

أدمنت ذكرك

أدمَنْـــــتُ ذِكْـــرَكَ تحنانـــــاً إلى الحَبَـــب

فــإن في الخَمْـــرِ معنـــىً لـــيس في العِنَـــبِ[1]

إنـــي القتيـــل بـــداء الصِّـــدْقِ مُـــرْتَهنٌ

أســـتعذبُ الصَّـــبْرَ لا أرنـــو إلى الضَــرَبِ[2]

---

[1] شطر من قصيدة للمتنبي (الديوان 11/1). والحَبَب: الخَمْرة.

[2] الضَّرَب: العَسَل.

أعلنـــت أمـــري أبـــاهي كـــل ذي شَـــغَفٍ

مـــا للقلـــوب يَـــدٌ في العِلْـــقِ والنَّشَـــبِ

غنّيـــــت للحـــــبّ لا أنســـــى بشاشـــــته

لحنـــاً شـــجيّاً يُغِـــذُّ البـــوح في الطلـــب

يطـــــوف في وَلَـــــهٍ والشـــــوق يحملـــــه

يستحضـــر النَّظَـــر السَّـــاجي مـــن الهُـــدُب[1]

أرســـلت ســـهماً بلحـــظ العـــين أَرْشـــقه

يجـــري بقَـــدْرِ الهـــوى في رَوْضَـــةِ النُّجُـــبِ

[1] الساجي: الفاتر المنكسر. الهُدُب: رموش العين إذا كانت طويلة.

تفجّــــر الشـــــوق في دنيــــا مُعَذِّبــــةٍ

يُميـــتني الهَجْــــر بالآهــــات والنَّصَـــب

دنيــــا مُفَرقـــــة في صــــــارفٍ لجِـــــبٍ

لم أَنْــسَ نشــراً لعِطْــرِ اللَّيــلِ في الحُجُــبِ

أطبقــــت جَفْنِــــي علــــى هَــــمٍّ يغــــالبني

والخـــــوف يـــــدفَعُني للـــــوَهْمِ والرِّيَــــب

فــــإن شَــــرَدْتُ فعُــــذْري أنــــني دنِــــفٌ

عَــــفٌّ يُغَنّــــي علــــى مَعْزُوْفَـــةِ اللَّهَــــبِ

أنـــت البهـــاء ومـــا إلاك مملكـــتي

أنـــت الـــيقين بحـــرف جـــال في الكتـــب

الطهْـــرُ مَعْبَـــدُها والـــوَرْد مَرْشَـــفُها

في اليـــاسمين بيـــاضُ الزَّهْـــر كالـــذَّهَبِ

ثغـــر الأقـــاحي شـــدا بـــالروح متقـــداً

الســـرُّ ينـــبض أشـــجاناً لـــدى العَتَـــبِ

هـــل تـــذكرين لنـــا عِـــرْزال[1] فرحتنـــا

أيـــامَ كنـــا نصـــفّي الخمـــر بالعِنَـــب

[1] عِرْزال: ذكر مواسم السعادة المُنصرمة.

كنـــا نعـــيش المنـــى في زهـــوِ لحظتـــه

كنّـــا نخبِّـــئُ أحلامـــاً علـــى الرَّغَـــبِ

قـــد كـــان مـــا كـــان مما لسْـــتُ أَذْكـــرهُ

فظُـــنَّ خـــيراً ولا تســـألْ عـــن السَّـــبَبِ[1]

تهفـــو القلـــوب إلى عهـــدٍ يراودنـــي

شـــوقي إليـــه تَشَـــهّي الـــنفسِ لـــلأَرَبِ

شـــاب الرجـــاء علـــى أَنْـــداء حُرْقتـــهِ

فيـــه الضـــياء الـــذي أجليـــه بـــالأَدَب

---

[1] بيت شعر لابن المعتز العباسي.

وكُـــلُّ أَمْـــرٍ يســـود الكـــون قاطبـــةً

عقـــل تناهبُـــهُ الأفكـــار بالغَلَـــب

نَـــذَرْتُ نَفْســـيَ للعليـــاء أَجْمعُهـــا

في دوحـــة الفِكْـــرِ أو في دارة الحَسَـــبِ

(2005/4/7م)

حُكّام وجَهَلة

كُسِــــرَ اليَـــرَاع مُضمَّخـــاً بخُضَـــابِ

بـــــوحٌ يفــــوحُ تعاســـــةً بعِتـــــابِ

قـــد مـــاتَ للأقـــلام عَهْـــدٌ عـــامرٌ

طـــاش الزمـــانُ برغْبَـــة الكُتَّـــابِ

أَرْضُ العروبـــةِ نالهـــا خِـــزْيٌ بَـــدَا

مـــن ظُلْـــم عُرْبـــانٍ مـــع الأَغْـــرابِ؟!

إذ أَبْرَمــــوا حقـــــداً بليــــلٍ قـــــاتمٍ

طـــارتْ بشَــــرٍّ لُحْمَــــةُ الأَنْســـابِ

عَزَمـــوا علـــى فَصْـــمِ العُـــرَى في خُطَّـــةٍ

لاحَـــتْ ببـــارقِ غاصِـــبٍ لعَّـــابِ

لاقَـــتْ مـــن الحُكَّـــامِ دعمـــاً شـــائناً

مـــا هَمَّهُـــمْ فِعْـــلُ الخَنَـــى العيَّـــابِ

لم يَرْعَــوُوا عــن بَــذْلِ كــل نقيصــةٍ

بَــلْ سَــوَّغوا مــا كــانَ بالأَسْــبَابِ

حَملُــوا نِكَايــة كَيْــدهم في خِسَّــةٍ

زرَعُــوا الخطايــا في بُنــى الأَعْصــابِ

نشــروا العــداوةَ، أَوكلُــوا لضــباعهم

نَــبْشَ القبــور لصــافيَ الأَصْــلابِ

داســوا الكرامــةَ أرَّثــوا لِضــغينةٍ

في مَــذْهبٍ أو فِرْقــةِ الحُجَّــابِ

فِـــتَنٌ تُطِـــلُّ علـــى هُـــدَى أَرْبَـــابهمْ

جَعلـــوا النســـورَ مطيَّـــةَ الإرهـــابِ

قـــد أَحْـــدثوا أُمَّ المعـــاركِ فـــيهم

غَـــذَّوا نفـــوسَ الجَهْـــلِ بالإِغْضَـــابِ

حِقْـــدٌ تمـــاهى في لظـــى إِجْـــرامهم

ضـــاقَ المكـــانُ بقاتـــلٍ كَـــذَّابِ

عبثُـــوا بتـــاريخٍ مجيـــدٍ زاخـــرٍ

نشـــروا الفَســـادَ مُعَلَّـــلاً بكِتَـــابِ[1]

---

[1] الكتاب: يقصد به القرآن الكريم؛ إذ أرجعوا كل أفعالهم إلى بعض آياته.

دُخَـــــلاءُ[1] في أفكـــــارهم وســـــلوكهم
صـــارَ السَّـــفير مَـــلاذَ كُـــلِّ رُغَـــابِ

هتكـــوا المـــروءةَ ســـوَّغُوا لنســـائهمْ
بَيْـــــع العَفـــافِ مُـــبَجَّلاً بحِجَـــابِ

مـــا عـــادَ يُعْـــرَفُ في الـــدُّنَى أَبنـــاؤُهم
قـــد جـــادَ أَقْـــواهمْ علـــى الإِخْصـــابِ

بـــاعوا الشـــهامة ؛ تاجَهـــا وبهاءَهـــا
صَـــبُّوا الـــبلاءَ دَمـــاً علـــى الأَحْسَـــابِ

لم يتركُـــــوا أمَّ اللُّغَـــــاتِ لشَـــــأْنها
يـــا لهفـــتي ؛ والغَـــدْرُ دُوْنَ حِسَـــابِ

---

[1] منع لفظ (دخلاء) من الصرف للضرورة.

قَطَعُـــوا سُـــداها أَسْـــرفوا بجريـــرةٍ

سـَـــالَتْ جراحـــاً ، أُرْدِيَـــتْ بخِـــرابِ

كنـــا نُبـــاهي في الزَّمـــانِ بأمَّـــةٍ

زهَـــتِ العقـــولُ بإرْثِهـــا الوثَّـــابِ

صـــرنا نُغَـــالي اليـــومَ في أَقْوَالنـــا

هـــل أينعـــتْ فخـــراً لـــدَى الأبـــوابِ؟!

إنْ كـــانَ يُـــذكَرُ شـــأْننا في غـــابرٍ

واخجلـــةَ التـــاريخ مـــن أَحْقـــاب!!

(تشرين الثاني **1991**م)

(أيام انعقاد مؤتمر مدريد)

بنتُ جُبَيْل

ما أنسَ لا أنسَ زيارتي لجنوب لبنان الصامد وبخاصة عاصمة المقاومة والبطولة (بنت جبيل). وحينما طفت في معالمها بصحبة عدد من المقاومين الشرفاء من آل جمعة ودعيت إلى منزل أحدهم ـ وكان والداً لشهيد وافق اسمه اسمي ـ شممت رائحة الكرامة وأنا أسمع قصص البطولة النادرة من أهل المدينة ؛ وهي القصص التي سمعت شيئاً منها في (عيناتا الشعب)، وفيها زرت الأنفاق التي كان الأبطال يتخذونها حصوناً يدرؤون فيها غارات طيران العدوان الصهيوني ؛ فكانت هذه الأبيات :

سـلامُ اللهِ تهديـه القلـوب

إلى الأَحْـرارِ تَزْهُـوهُمْ طيـوبُ

إلى الأَبْطَـالِ في نَصْـرٍ أَصَـابوا

وسـطَّره بروعتـه الجنـوبُ

رجـالُ اللهِ في المَيْـدانِ كـانوا

نجومـاً للزَّمَـانِ، هُـمُ القُلـوبُ

أيـا نَهْـجَ الصُّـمُودِ بـدَار حَـقّ

ويـا بنْـتَ الـتّلالِ هَـوىً يثـوبُ

يعـــــانِقُ عِطْرُهَـــــا أَوتـــــارَ قلْـــــبٍ

ظـــــلالٌ للفِـــــداءِ سَـــــنىً رحيـــــبُ

لـــــكِ الإِكبـــــارُ يـــــا تاجـــــاً فريـــــداً

شـــــبابٌ في جهَـــــادٍ لا يخيـــــبُ

أيـــــا بنـــــت الجبيـــــل سَـــــكَنْتِ روحـــــاً

جـــــرى عِشـــــقٌ شَـــــفيفٌ لا يَغيـــــبُ

جـــــذورٌ ردَّتِ الأَقـــــدارُ فيهـــــا

مشـــــاعرَ تَرْتقـــــي شَـــــجَناً يَـــــؤوْبُ

نقـــــــاءٌ في أُصـــــــولٍ وارتقـــــــاءٌ

يطـــــيرُ الكـــــونُ وَالنَّشْـــــوَى تطيـــــبُ

حللْنَـــــا في بيـــــوتِ العِـــــزِّ ظهـــــراً

كـــــرامٌ مـــــن بَـــــني قَـــــوْمي قَريـــــبُ

تبادلنـــــا الحكايـــــا في فَخَـــــارٍ

وكـــــلٌّ يزدهـــــي ، وهْـــــوَ الطَّـــــرُوبُ

مقاومـــــةٌ يُسَـــــطِّرها ليـــــوثٌ

غطارفـــــة[1] تبـــــاروا لم يتوبـــــوا

---

[1] الغطارفة : الفرسان الشجعان.

عــــن الأرض الـــــتي فـــــازَتْ بحـــــبٍّ

يلبّيهــــــا إلى الســــــاح النقيـــــــبُ[1]

ونِسْـــــــبَتُهُ إلى الأشـــــراف تعلـــــــو

يحطـــــم كـــــلّ جَبّـــــارٍ، يُصـــــيب

يهـــــزُّ الـــــريح لا يخشـــــى فضـــــاها

يخـــــوض الغَمْـــــر تيَّاهـــــاً يجيـــــبُ

صـــــهيل الخيـــــل لا يـــــدنو زئـــــيراً

يكبّـــــر فيـــــه مِغْـــــوارٌ غَضُـــــوب

(1) النقيب: المقصود به نقيب الأشراف.

ونَصْـــــرُ الله يغلـــــب كـــــل شُـــــهبٍ

يبـــــارك للشـــــهيد ولا يشـــــوبُ

فيـــــا يومـــــاً عظيمـــــاً في مســـــاري

أبـــاهي الخَلْـــق مـــا يُنْسَـــى النَّســـيبُ

سَـــــجايا للّقـــــاءِ غـــــداةَ هـــــبُّوا

يهادونـــــا فضـــــائلَ إِذْ تـــــؤوبُ

شُـــــروقٌ للأمـــــاني في إهـــــابٍ

أنـــــا المعـــــذور في حُـــــبّ يلـــــوبُ

حَـــــنينٌ جـــــارفٌ نُهــــدي إلـــــيهم

يُنـــــاديهِمْ، ويفـــــديهمْ حبيـــــبُ

أُعَاهِــــدُهُم علــــى الإخـــلاصِ طُــــرّاً

أُمَنّــــي الـــــنفسَ إِذْ إنــــي الرَّغُــــوبُ

ســــــأَعْرُجُ في مُقَاومَـــــــةٍ إلــــــيهم

أشـــــدُّ العَــــــزْمَ في قَــــوْلٍ يَنُــــوبُ

أُذَكِّــــــر كـــــلَّ إنســـــانٍ صَـــــدوقٍ

بحــــــقِّ الأَرْضِ، والــــــدنيا عَـــــرُوبُ

فيـــــا أهـــــل المُــــــروءةِ والسَّـــــجايا

أنـــــاديكم ومـــــا تفنـــــى الطُّيُـــــوبُ

(17/ 4/ 2008م)

معلولا الجريحة

اقـــــرأ ســــــلاماً للـــــبلاد الفاتِنـــــاتْ

خَيْـــــراً ترقَّـــبْ في إهـــــاب المعصـــــراتْ

في بلـــــدةٍ مَزَجَـــــتْ تـــــرانيم الـــــدعا

في مَسْـــــجدٍ لاقـــــى كنـــــائس للصـــــلاةْ

معلولـــةٌ[1] خَطَّـــتْ حروفـــاً لـــلأُلى

باهَـــتْ علـــى الـــدنيا بـــأُمٍّ للغـــاتْ[2]

صَـــــخْرٌ يعـــانقُ روحهـــا في سِـــــرّها

حُلُـــمٌ يغـــوصُ إلى الفِجَـــاج الزاخـــراتْ

في كهْفهـــا وُلِـــدَتْ حضـــارة شـــعبها

كَتَبَـــتْ تـــواريخ النُّهـــى والُمعْجـــزاتْ

---

[1] أصـل الاسـم (معلـولا) لكـن كتبناهـا تـاء مربوطـة لِمَـا آل إليـه حـال (معلولا) من عِلَلٍ، وكأنها غدت معلولة بالنكبات.

[2] أم اللغات: نعني بها ـ هنا ـ اللغة الآرامية.

مـــن دَيْرِهَـــا[1] يزهـــو الإخـــاءُ مَلاحــةً

نغمـــاً يطـــوفُ إلى ذراهـــا السَّـــامِقات

أيقونـــــةٌ نزفَـــــتْ لهيبـــــاً فُجـــــأةً

في جُـــــنح ليــــلٍ قـــابعٍ بالظلمـــــاتْ

غُلَّـــــتْ بقَيْـــــدٍ فاتـــــكٍ لكرامـــــةٍ

بُليـــــت بجَهْـــــلٍ حاقـــدٍ في الحالكـــاتْ

يـــا بلـــدةً شَـــقِيَتْ عَـــذاباً بـــاللظى

في ذَبْـــحِ إرهـــابٍ عظـــيمِ النائبـــاتْ

---

[1] دير مارجرجس من أقدم الأديرة في سورية ، ويُعَدُّ أنموذجاً أثرياً بديعاً.

والـــرزءُ طـــار إلى المـــدى في قُبْحـــهِ

حيـــثُ الـــدواهي مائجـــاتٌ نـــازلات

قـــد رابَهـــا مِـــنْ دَهْرهـــا مَـــنْ خانهـــا

يـــا ويحهـــم طعنـــوا جـــذور الغـــابرات!!

يـــا للضَّـــحايا!! كـــم فتـــىً أضـــحى صـــدىً!!

قـــد كـــان يحلُـــمُ بالأَمـــاني الخيِّـــرات

إنـــي شـــرِبْتُ القهـــر في أحـــداثها

أنّـــى مَـــرَرْتَ بهـــا رَأَيْـــتَ النَّادبـــاتْ

جـــارَ الزَّمَـــانُ علـــى جمـــالِ أَدِيمِهـــا

أزرى بعَقْـــلِ الطـــاهرات العابـــداتْ

ويُعيـــدُها حُـــبٌّ عَظـــيمٌ صـــادقٌ

يحنـــو علـــى الأوطـــان عنـــدَ الجائحـــاتْ

عِطْـــرُ الـــبلادِ يـــذوب في أَجْسَـــادنا

ذَوْبَ البطولـــةِ في حليـــب الأُمَّهـــاتْ

إن كـــان جَـــورُ الحِقْـــد جَـــرَّ حماقَـــةً

فالصُّـــبْحُ يُجْلَـــى ليلُـــهُ بـــالنَّيِّراتْ

(20/ 10/ 2013م)

الحفيد الصغير

أنْـــتَ دُنيــا الطيّبـــاتْ   يــا جمــيلاً في الهِبَــاتْ

أنـــتَ نفســي في مـــداها   فــيضُ عِطْــرِ المكرمــاتْ

يــا حفيــدي يــا ملاكــاً   صِــرْتَ أحلَــى النَّشَــواتْ

هدهِــدِ الصــوت شــجياً   باصـــطفاءِ الوشوشـــاتْ

إنَّ خفقـــــاً لقلــــــوبٍ   عَــزْفُ لحــنِ الصَّــادحاتْ

نَفْحُهـــا أَبْـــرى فـــؤاداً   في جنــــونِ الحركـــاتْ

عـــاد للعمـــر ابْتهـــاجٌ   مـــن بَهَـــاءٍ في الصــفاتْ

حقّــق الأفــراح توقــاً　　بــــالنفوسِ الحالمــــات

يــا لــرَوْضٍ مــن أمــانٍ　　بالــــدوالي الحانيــــات

كــمْ جلســنا في صــفاءٍ　　حيــث تحلــو الكلمــاتْ!!

يَــنْعمُ الأحبــابُ طُــرّاً　　بفُنُــــونِ البَسَــــماتْ

يســردون القــول ســحْراً　　لمعــــاني الضــــحكات

ينشــدون الــروح طفــلاً　　بنشــــيد الأغنيــــاتْ

يــا إلــه الكَــوْنِ خُــذْني　　لبهــــيّ اللفتــــاتْ

ازرع الأطفــــال ورداً　　بــــالربوع الفاتنــــاتْ

إنَّهــمْ جَنَّــاتُ عَــدْنٍ　　تصــطفي سِــرَّ الحيــاةْ

الطير الخائف

أباكر يومي على زقزقة العصافير في حديقة منزلي ؛ تغرّد إيذاناً بميلاد فَجْرٍ جديد ، تتراقص على الأغصان بفرح الأمل المرتقب... وسرعان ما تجاوبها يمامات صغيرات يختنق صوتها بأشجان الحرقة التي نغصتها عذابات الزَّمَن على من فقدت...

وحيثما تكن على مثل هذه الحال يذعرها صوت رصاصٍ آتٍ من وراء الأُفق، فتهدأ جميعاً لبعض الوقت لتستجلي حقيقة الأمر؛ ولكنها تعاود التغريد، وكأنها تعودّت ذلك؛ فالحياة لا بد من أن تمضي... وكنت أراقب ذلك حين أعانق نداءات الفجر بعين الرضا والأمل، بشفافية المحزون المقهور لما آل إليه أبناء وطني، فكانت هذه الأبيات...

زَقْـــزَقَ العُصْـــفورُ في الفَجْـــرِ ولاحْ

راحَ يشــــدو في تباشـــيرِ الصَّـــباحْ

أُغنيـــاتٍ تمـــلأ الكـــونَ سَـــنىً

تغـــزل التَّـــوْقَ بثَغْـــرٍ للأَقَـــاحْ

جَـــذِلُ الصَّـــوْتِ علـــى أَغْصـــانهِ

يرقـــبُ الضـــوء بهـــاءً بارتيـــاحْ

يُـــوْقظُ الـــرُّوحَ بعَـــزْفٍ ســـاحرٍ

جُـــدْ بلَحْـــنٍ ضـــاحكٍ يـــا ذا الجَنـــاحْ

يـــا أَخَـــا الـــرَّوْض، ويـــا سِـــرَّ النِّـــدَا

ابعـــثِ النشـــوة، في نَفْـــثٍ قَـــراحْ[1]

---

(1) القراح: العَذْب الزلال كالماء.

صَـــمَتَ العُصْـــفور يُصْـــغِي سَـــمَعاً

طـــارتِ الورقـــاءُ، والشَّـــدْوُ نـــواح

أَطْـــرق المســـكين يحـــني رأسَـــهُ

إذ جـــرى بَـــوْحٌ قريـــبٌ بالصُّـــدَاحْ

جَـــدَّت الورقـــاء تعلـــي شَـــجْوَها

ثـــار رُعْـــبٌ مـــن رصاصـــاتِ السِّـــلاحْ

ماجـــت الأحـــزان في أجفانهـــا

ضـــجّت العـــيْنُ بـــدمْعٍ في المَـــرَاحْ[1]

***

[1] المَرَاح: المكان الذي يرتاح فيه الإنسان.

يـــا طيـــورَ الصُّـــبْح يـــا ظِـــلَّ المنـــى

لا تخـــافي مـــن أَزيـــزٍ في البِطـــاحْ

يَـــبِسَ المَـــوْتُ علـــى أَشْـــلائنا

قـــد نَزَفْنَـــا مـــن عَـــذاباتِ الجِـــراحْ

حُلَـــل العمـــر تجلَّـــتْ وَجَعـــاً

نَسَـــجتْ مـــن مِـــزَقٍ أبهـــى وشـــاحْ

مـــن سَـــوادِ الـــنفس ثـــارَتْ نـــزوةٌ

أهْلكـــتْ مـــا كـــان توقـــاً للمِـــلاحْ

آهِ مـــا أقســـى جنونـــاً راتعـــاً!!

لـــيسَ فيـــه مـــا يُرَجَّـــى أو يتـــاحْ

غَيْــــر أنـــــي عـــــازِمٌ رُغْـــــمَ الـــــرَّدى

عَــــزْمَ طَيْــــرٍ تــــاقَ للنُّــــوْرِ وَصَــــاحْ

لم يمـــــت مــــن كـــــان خـــــلاًّ صـــــادقاً

في زمـــــانٍ لـــــيس يُعْطـــــي مـــــا يُبـــــاحْ

امنحـــــيني يـــــا يَمَـــــامُ حِكْمَـــــةً

بـــــدّدي آهـــــات نفســـــي بانشـــــراحْ

(2012/6/5م)

أشتات تبعثرني

أَشْـــتاتُ الشَّـــوقِ تُبَعْثِرنـــي

فـــيطير العقـــل إلى السُّـــهْدِ

أَسْـــرَارُ الليـــل تعـــاتبني

يشـــجيني الـــدمع مـــن البُعْـــدِ

آلامٌ تُسْـــــــقى في لُـــــــجٍّ

فتغيــــب بجــــرحٍ في خَـــــدّي

خلجـــات المـــوت تحاصـــرني

وســـوادُ الملـــح علـــى جِلْـــدي

ويطـــير العِنْـــد علـــى سَـــرَفٍ

كـــدبيب الليـــل علـــى الزَّنْـــد

تهـــــدي للقـــبح مُلاءَتَهـــــا

تحيـــا غيّـــاً تَفْـــري ســـعدِي

فَنسَـــجْتُ قصـــيدتيَ الثكلـــى

تتفَجَّـــــعُ في هـــــذا العهـــــد

آهٍ، يــــا أنثـــــى تًسْـــــكنني
وتخاتـــــل روحــــــي بالصَّـــــدّ
مـــــا زلْـــــتِ حيـــــاةً فاتنــــــةً
وحـــــدي مـــــن يبقــــى في ودّ
يـــــا خفقـــــة قَلْـــــبٍ مِغْنـــــاجٍ
أشـــــتاق إليـــــك بـــــلا وَعْـــــدِ
فأتيتـــــــكِ حُـــــــرّاً مِطْواعـــــــاً
وَرَسَـــــمْتك سَـــــيْفاً في غِمْـــــدي
وجعلـــــت شـــــروقك باصِـــــرَتي
يـــــا هَمْـــــسَ الطَّـــــلّ علـــــى الـــــورد

(2003/4/7م)

جرح يسيل على خدي

جُــرْح قــد ســال علــى خَــدّي

أَوهَــى عَزْمــي أَفْنــى طَــوْدي

كلمــاتي تحيــا في ســرّي

وجنــوني يســلوني وَحْــدي

والحـــــرف ينـــــادي في وَلَـــــهٍ :

يـــا وَيْـــلَ الـــنفس مـــن السُّـــهْد

حَسْــــبي مـــــن غَـــــمٍّ يقـــتلني

في الليـــــل أَبيـــــتُ علـــــى وَجْـــد

إن هــــــام القلــــــبُ بِــــــذِكْركُمُ

فــــــالطير قتيــــــل بالفَقْــــــدِ

***

يـــا قَومــــاً طـــاحَ بنـــا شَــــرٌّ

أكنــــــاف الــــــدار بــــــلا ذوْد

هـــــرج مـــــرج يبغـــــي قـــــتلاً

وضِـــباعُ الأرض غَـــزَتْ جُـــرْدي

منكـــــود الحـــــظ أيـــــا رجـــــلاً

ألغُـــــوْلُ[1] تمـــــادت في الشـــــدّ

عربـــــان أَصْـــــلَونا مَكْـــــراً

والمـــــال يبـــــادَرُ بالحِقْـــــدِ

لم يبقـــــوا كرهـــــاً في كَـــــنَنٍ

جَلّـــــوه نفاقـــــاً في حمـــــد

---

[1] الغول: حيوان خرافي؛ وهو واحد من مستحيلات ثلاث (الغولُ والعنقاء والخِلُّ الوفي).

أوطـــــان يِبْعَـــــــتْ في لَيْــــــلٍ

شـــــرف محكـــــوم بـــــالقَوْد

يـــا عينـــاً قـــد نزفـــت وجعـــاً

الخَصْـــــم يصـــــارِع بالنَّقْـــــد

الجُـــــبْنُ يعـــــيش بجُبَّتِـــــهِ

ويفـــــوز حَسُـــــودٌ بالشـــــهد

***

أَبنـــــــاءُ العَجْـــــز بجُعْبَتنـــــــا

أَرْدَاهُـــــــمْ خَـــــــوْف بــــــالرَّدِّ

لا شـــــــيءٌ يبقـــــى مُسْــــــتلباً

إن زاد الأَمْـــــرُ علــــى الحَــــــدِّ

(2011/8/5م)



بناء وهَدْم

يســـاجلني حِـــبٌّ إذا الـــدهر عَرْبَـــدا
يخاتـــل عقـــلاً ينشـــد المجـــد فَرْقَـــدا

يـــرفُّ خيـــالِيْ ســـائراً حيـــث يرتقـــي
فيـــأبى ضـــياع الـــدَّرْب أَنْ يتبـــدَّدا

وألقـــي إليـــهِ سَـــمْعَ أُذْنٍ معاهـــداً

أخاطِـــبُ قَلبْـــاً في ظَـــلامٍ تنهَّـــدَا

أراه جُمَانـــــاً في بُـــــرُوجٍ تَشَـــامخَتْ

يـــنير حـــداق العـــين إذْ تتوقَّـــدا

تغلغـــل في ذاتـــي وجـــدَّ تهلّـــلاً

رمـــاني بـــداءٍ لا يـــزال مُعَنِّـــدا

أحـــبُّ الشـــريف الحُـــرَّ في كُنْـــه ذاتـــه

تحلَّـــى بأنـــداء المُـــرُوْءةِ والنـــدى

وراد نـــوادي الخَيْـــرِ إذ بـــات نـــازلاً

بأكنـــاف علـــمٍ زاده الأَصْـــل مَحْتـــدا

ألا رُبَّ يـــومٍ بـــتُّ فيـــهِ مرابطـــاً

بأهـــــدابِ رُوْحٍ لا تمـــــلُّ تَـــــوَدُّدا

ترجّـــي طيـــوبَ السَّـــعْد في كـــل بَلْـــدةٍ

لتـــنْعَم في بُـــرْدِ الهنـــاءة أَسْـــعَدا

***

وودَّ عـــــذولي أَنْ يهـــــدِّمَ دوحــــــتي

يكـــــرُّ عليهـــا مـــا يــــزال مُهَــــدِّدا

يعيـــــث فســـــاداً في الحيــــاة ســــفاهةً

يهــــيج نفوســـــاً عامــــداً متعمِّـــــدا

يَـــــرُوْمُ ضِـــــراراً لا يبــــالي بسَـــــوْءَةٍ

فيــا رجــلاً قــد طــار لؤمــاً وأَبْعَــدا!!!

يبيـــــت حســــيراً مــــن دوامٍ لنعمـــــةٍ

ألَّمـــت بأهـــل الجِـــدّ عهـــداً تَـــرَدَّدا

***

سـوادُ الليـالي يَمْنَـعُ الـوَرْدَ[1] رِزْقَـهُ
ويغـري ببـومٍ كـي يطـير مُغَـرِّدا

فيـا ويـح قلـبي مـن نـداءٍ مخاتـلٍ
أثـار شـقاقاً في العقـول ونـدَّدا!!

ومـن لم تعلّمْـهُ الحـوادثُ حِكْمـةً
تـردَّ إلى جُـرْفٍ عميـقٍ وأَخْلـدا

إذا نـال مـن صَـحْبٍ كـرام هدايـةً
تـدارك أخطـاءً وقلَّـل في العِـدا

(1) الورد: الأسد ـ هنا ـ.

فـــــأزرى بأربـــــاب الغوايـــــة قـــــاتلاً

حَسُـــــوداً ونمّامـــــاً يماثـــــل أســـــودا

هنالـــــك لا يبقـــــى لقـــــومٍ مُصـــــيبةٌ

وطـــــار هَنَـــــاءٌ في الـــــبلاد وسَـــــدَّدا

(1984/5/6م)

الحياة نزف دائم

لَيْـــلٌ سَــرَى في هَـــدْأةٍ ضَـــجَّ الخَبَـــرْ
مَـــنْ كـــانَ فينـــا عُمْـــدةً أَضـــحى أثَـــرْ

صَـــوْتٌ يـــداري جُرْحَنـــا يـــا حَسْـــرةً
غـــابَ الحبيـــبُ، وكـــل قَلْـــبٍ قـــد كُسِـــرْ

آهٍ نـــزارٌ[1] فـــاضَ صَـــدْرٌ بـــالجوى!!

أَبْصَـــرتُ نعْيـــاً دار نشـــراً بـــالعِبَرْ

آهٍ علـــى أيامنـــا مِـــنْ دَهْرنـــا!!

إعْصـــارُ مَـــوْتٍ يبتلـــي الخَـــدَّ النَّضِـــرْ!!

جـــوف الرَّغـــام مصـــيرُ حِـــبٍّ قـــادمٍ

إذ يُمْطـــر الأســـقام دمعـــاً في خَفَـــر

طِـــبْ يـــا رضـــا[2]، خُضْـــتَ الحيـــاة كريمـــةً

ومضـــيت تياهـــاً بعِلْـــمٍ كالـــدُّرَرْ

---

(1) نـزار: هـو الصـديق الشـاعر نـزار بـني المرجـة، وقـد آلمـني فقـد والده، فكانت هذه الأبيات.

(2) رضا: والده (محمد رضا بني المرجة) وهـو الفقيد المرثي الـذي ألقيت القصيدة يوم تأبينه في (2015/6/13م).

والــــنَّفْسُ تَسْـــمو عاليــــاً في دَوْحـــــةٍ

ترتـــادُ ركنـــاً لا يضـــاهى في الصُّـــوَرْ

مـــن سِـــفْرها نَظَـــمَ المعـــارف حُلَّـــةً

تعلـــــي المكانَـــــةَ لا يُـــــدانيها فِكَـــــرْ

قـــد كنـــت فينـــا يـــا رضـــا أُمْثولـــةً

مـــا كـــل فَـــرْدٍ جـــاءَ في الـــدنيا ذُكِـــرْ

صُـــنْتَ الحـــديث، نُسِـــجْتَ في أشـــعارنا

ذكـــرى لـــروحٍ زادهـــا بُعْـــدُ النَّظَـــر

رُضْـــت الشـــمائل ، ذُبْـــتَ في أعطافهـــا

تســـتنزلُ الـــوَرْدَ البهـــيَّ علـــى الزَّهَـــرْ

ومضـــيتَ في سُـــنَن الحيـــاةِ مُسَـــلِّماً

إذ كُـــلُّ حـــيٍّ ينتهـــي مثـــل الشَّـــرَرْ

مـــا كـــان حقـــاً لا مَـــرَدَّ لحُكْمـــهِ

آهٍ نـــزارُ[1] ، وكُـــلُّ أَمْـــرٍ قـــد قُـــدِرْ

آتٍ إليـــكَ بكُـــلِّ حَـــرْفٍ نـــازفٍ

أُجلـــي الهمـــوم أرودُ أَسْـــرارَ السِّـــير

---

[1] لم يصرف لضرورة الشعر.

حتـــى متـــى يـــا صـــاحبي نَغْتَـــرُّ في

أحلامنـــا نبغـــي ارتقـــاءً للقَمَـــرْ؟!!

أقـــدارنا رَسَـــمَتْ لنـــا آجالنـــا

أَنْ لا بقَـــاءَ يـــدومُ دَهْـــراً للبَشَـــرْ

نحْـــنُ الدريئـــةُ للســـهام ضـــحيَّةٌ

تُغْـــري الفجيعـــة، كُـــلُّ فَـــرْدٍ في خَطَـــرْ

هـــمُّ الحيـــاة يطـــوف في أوهامنـــا

يُـــذكي العقـــول بكُـــلّ حـــظٍّ مُعْتَـــبرْ

نحيـــا وَنْمضـــي مُسْـــرِعين إلى القضـــا

نحيـــا زمانـــاً نجتلـــي مـــا قـــد جُبِـــرْ

لا تَعْـــــدمِ الأَيَّـــــامُ فَقْـــــداً دائمـــــاً

فـــيمن قَضَـــى مـــن قومنـــا أو مـــن حَضَـــرْ

فَلْنحْمِـــــــل الآمـــــــالَ في أحلامنـــــــا

حتـــى نُـــوَافَى يومنـــا في مَـــنْ عَبَـــرْ

(2015/6/11م)

اغفر نزار جراءتي[1]

هبَّـــتْ تســـير علـــى خطَـــرْ
يَهْفـــو إليهـــا مـــن عَبَـــرْ

القَـــــدُّ رُمْـــــحٌ شـــــامخٌ
أضـــحى يُلاحَـــقُ في خَفَـــرْ

[1] نزار: هو الشاعر العربي الكبير نزار قباني (1923/3/21 ـ 30/ 4/ 1998م).

شَــــلاَّل تـــــبرٍ مُرْســــــلٍ

كســــنابلِ القمْــــحِ النَّضِـــرْ

والصَّـــــدْرُ يخفُـــــق طـــــائراً

والوجْـــــهُ زَيْـــــنٌ للــــــدُّرَرْ

نبضـــــاتُ قَلْـــــبٍ جـــــارفٍ

ترتـــــابُ في وقـــــت السَّـــــحَرْ

ونـــــــداوةٌ في مَرْشَـــــــفٍ

برُضَـــــابهِ الزاهـــــي أَسَـــــرْ

ظِـــــــلٌّ ظليـــــــلٌ بــــــاردٌ

كخَميلـــــةٍ تســـــقي السَّـــــفَرْ

والحـــــبُّ يصـــــفو شَـــــجْوُهُ

مـــا غـــابَ عَنْـــهُ أَوِ انْحَسَـــرْ

تبكـــــي الهمـــــوم مـــــواجعي

وتُهِـــــيلُني بـــــين الحُفَـــــرْ

***

مـــــلء المــــدامع عَبْرتــــــي
مــــا كُــــلُّ شِــــرْيانٍ نَفَـــــرْ!!

حُزْنـــــــي يَفِـــــيض مُعَنِّــــــداً
والــــــدمع يُبْلـــــي بالبَصَـــــرْ

ومشـــــــاعري فيَّاضـــــــةٌ
أشــــلاءُ جِسْــــمٍ قـــد حَضَـــرْ

أَبْليْــــــتُ عهـــــد صــــبابتي
وذؤابــــتي أَضْـــــحَتْ أَثَــــرْ

آهـــــات نفســـــي حُرْقـــــةٌ

ضَـــــجَّت بليـــــلٍ في ضَــــجَرْ

لا شـــــيءَ يَعْـــــدِلُ غَصَّــــتي

إلاَّ جراحـــــــاتٌ زُفَـــــــرْ

قـــــولي، بربـــــكِ: إنَّنـــــي

رُبّـــــان قَلْـــــبٍ قـــــد صَـــــبَرْ

ســـــأكون حلمـــــاً دافئـــــاً

والـــــروح ترنـــــو للقَمَـــــرْ

***

عـــــــودي إلـــــــيَّ برَغْبـــــــةٍ

والعـــــيْنُ تَهْمـــــــس أو تُسِـــــرّ

عُـــــــوْدي إلـــــــيَّ لينتشـــــــي

حُلــــــم الحديقَـــــــةِ بالسَّـــــــهَرْ

جـــــــودي علـــــــيَّ بنَظْـــــــرةٍ

فـــــــالعَينْ تُجْلَـــــــى بـــــــالنَّظَرْ

وتكلّمـــــــــــي بحَـــــــــــلاوَةٍ

في كُـــــــلّ قـــــــولٍ مُنْتَظَـــــــرْ

وتمهلـــــــــــــي في حِكْمـــــــــــــةٍ

إذ كــــــلُّ حُكْـــــــمٍ مُعْتَبَــــــرْ

لا تنطقـــــــــــــي بجهـــــــــــارَةٍ

هـــــــذا قمـــــــينٌ بالبَشَــــــرْ

أهفـــــــو إلى الحِـــــــبّ الــــــذي

يـــــــزداد ريّــــــاً بــــــالفِكَرْ

أخشـــــــى علـــــــى أشـــــجارهِ

ألا يعاودهـــــــــا الثَّمَــــــــرْ

أحلامنـــــــــا آمالنـــــــــا

تصـــــحو علـــى صـــوت المَطَــــرْ

عَــــــزْف الحيـــــاة بشَـــــارةٌ

أنغامهــــــا بنــــــت الــــــوَتَرْ

يــــا لائمـــــي في هِزَّتـــــي

ذَوْبُ الرحيــــق قَـــــدِ انْتَشَـــــرْ

آهٍ علـــــــــى أعمارنــــــا

زفـــــرات رُوْحٍ تحْتَضَـــــــرْ

***

قُـــــمْ يـــــا نـــــزارُ[1] ، أَسَـــــرْتني

في كـــــل شـــــعرٍ قَـــــدْ أُثِـــــرْ

إذ مـــــا تركـــــت لشـــــاعرٍ

أوصـــــافَ حُسْـــــنٍ مُسْـــــتَعِرْ

حُـــــزْت الكمـــــالَ بوَصْـــــفهِ

إذْ كـــــلُّ شـــــيءٍ قَـــــدْ قُـــــدِرْ

(1) لم يصرف نزار لضرورة الشعر

وا خَجْلَـــــتي مــــــن جُرْأتـــــي

وأنــــــا المُعَنَّـــــى في الكِبَــــــرْ!!

فــــــارحمْ نـــــــداءَ معــــــارضٍ

إذ أَنْـــــتَ أَعْظَـــــمُ مَـــــنْ غَفَــــرْ

(2001/4/7م)

خيام ما لها عُمُدٌ

ولاح البــــــــؤس في الثَّغْــــــــرِ

يبــــــاري الخــــــوف في الصَّـــــدْرِ

خِيـــــــام هَــــــــدَّها نَشَـــــــبٌ[1]

وأصــــــلانا بــــــذي الشَّـــــــرِّ

[1] النشب: أن يتداخل الشيء في الشيء، فلا يخرج منه كتداخل المخالب في الصدور؛ وكذا المآسي و...

يلـــــوب بســــــاحة حَيْـــــرى

يزيــــــد الــــــنفس بـــــالقَهْرِ

ويلفحهـــــــــا بحرقتـــــــــه

علـــــى رِيْـــــحٍ لـــــدى الظُّهْـــــرِ

فتـــــذرف دمعـــــــةً حَـــــرّى

بُعَيْـــــدَ الوقـــــت في الأَسْـــــرِ

ضِـــــرامُ الحَـــــرِّ يَـــــدْفَعُها

علـــــى وَجَـــــع مـــــع الزَّفْـــــر

يجـــــيء المـــــوت في عَنَـــــتٍ

فيَغفـــــــر فـــــــاهُ في السّـــــــرِ

هنـــــــــــــــا في الأرض آلامٌ

تُسَـــــــــابقنا إلى القَبْـــــــــر

وتخـــــبرُ عـــــن فَجائعنـــــا

بعجـــــز مـــــن أولـــــي الأَمْـــــرِ

***

وأعـــــداء بـــــلا قلـــــب

تمـــــادوا في لظـــــى الـــــوِزْر

يشـــــارك حِقْــــدَهم صَـــلَفٌ

فيُعْمِــــيهم علــــى كِبْـــرِ

كــــذا كـــانوا ومــــا زالـــوا

علــــى نهــــج لــــدى الــــدَّهْرِ

وعربــــــان أضـــــــاعونا

بســــوء الفِعْــــل والغَـــدْر

تنــــاهوا في ضـــــلالتهم

وشــــالوا اللَحـــــم بـــــالظُّفْرِ

***

فـــــــراح الهـــــــمُّ يخـــــــــنقني

ويُنْـــــــــــــــــــــزفني ولا أدري

ويأخـــــــــــذني إلى طِفْـــــــــلٍ

طَريـــــــــدِ الجُـــــــوْعِ والفَقْـــــــرِ

فيصـــــــــــلبني علـــــــــــى ألمٍ

بعقـــــــــلٍ دائـــــــمِ الـــــــذِّكْرِ

خيـــــامٌ مــــــا لهـــــا عُمُـــــدٌ

وقَهْـــــــرٌ مـــــــن أولـــــي الكُفْـــــرِ

(2011/11/2م)

من أنت يا نَفْسُ؟!![1]

مــن أَنْــتِ يــا نَفْســاً تعــي أَوْ لا تعــي؟!
أنـــت الأمـــيرةُ في الـــوَرَى للأَلْمَعـــي[2]

أنـــتِ الحكيمـــة صُـــغْت كُـــلَّ حكايـــةٍ
أنـــتِ الأَثـــيرةُ عنـــدَ كـــلِّ مُـــوَدِّعِ

---

[1] ذاعت قصيدة ابن سينا في (النفس) (هبطت إليك من المحل الأرفع) وعارضها عدد من الشعراء؛ وها نحن نجيل النظر فيها...

[2] الألمعي: الذكي المتوقد.

مَـنْ أنـت ؛ يـا لُغْـزاً عجيبـاً مُدْهشـاً؟!!

يـا رشـفةً مـن صُـنْع روحِ المُبْـدع!!

أنـت الـتي آثـرت كـل صـنيعةٍ

جُلْـتِ الرُّبُـوعَ ومـا رضـيت بلَـوْذعي[1]؟!

مـن أنـت ؛ يـا طيفـاً يـداعب حلمنـا؟!!

قـد جئـت تغرينـا بـأمر مُوْلَـع!!

أَنْـتِ الخـواطر والمشـاعر والـرؤى؟!

أنـت الـزفير مـع الشـهيق المُوْجـع؟!

---

[1] اللَّوْذعي: الذكي الذهن.

مـــن أنـــت ؛ يــا نغمــاً تجلَّـــى غَصَّـــةً؟!!

إذ يــــرقص الطـــير الــــذبيحُ بموضــــعِ

أنــــت العصـــافير الــــتي تبـــدو سَـــنىً

في كــــل بــــادرة جَـــرَتْ في المَرْبَـــع؟!

مـــن أنــت ؛ يــا روضــاً خصـــيباً ظلُّـــه؟!!

ماجـــت بــــلاد بالرَّهَـــامِ[1] المُسْـــرِعِ!!

أنــــت الشــــقيّة في تبــــاريحِ الهـــوى

أنـــتِ الحبيبـــةُ مَـــنْ أَقَضّـــت مضـــجعي

---

[1] الرَّهَام : المطر الدائم الصغير القطرات.

أنـــت الحيـــاة ومـــا لغـــيرك وِجْهـــةٌ

أنـــت الرجـــا في عائـــدات المَرْجِـــع

مـــن أنـــت يـــا ســـر الأنـــا في ذاتنـــا؟

قَلـــقٌ عَظِـــيْمٌ دائِـــمٌ لم يُـــدْفع

يـــا لَهْفَـــةَ العَقْـــلِ الـــتي آلَـــتْ صَـــدىً

مـــا عابهـــا شَـــجنٌ يســـاكن مَخْـــدعي

أودعـــتُ فيهـــا مُهْجَـــتي وذؤابـــتي

ذاب الشـــباب علـــى جـــداولِ أدمعـــي

كـــان الزمـــان وكـــان فيـــه نحيبـــهُ

في دَوْحـــةٍ جالـــت مَـــدىً في المَصْـــرع

إنّـــي هـــززتُ الفِكْـــرَ في أَعْطافـــهِ

أرنـــو إلى كشـــفٍ بعيـــدٍ مُقْنـــعِ

والـــريح في إعصـــارها تبـــدو لظـــىً

تلـــوي بأعنـــاق الـــذُّرى في البلقـــع[1]

مـــن لا يـــرَ الشـــيءَ اللطيـــف بداهـــةً

نظـــراً يجيـــل تفكّـــراً في المَطْلـــعِ

---

[1] البَلْقع: الأرض الجرداء التي لا نبات فيها.

يجـــدِ الشـــناعة لا تبـــارح عهـــده
تشـــقى العقـــول بمـــا تـــراه مـــن الـــوعي

يـــا صـــاحبي !! هـــذا حـــديثُ مُجَـــرّبٍ
مَحَـــضَ التجـــارب عارفـــاً لا يـــدَّعي

فـــإلى متـــى تبقـــى حبيســـاً خانعـــاً؟!!
كـــن في الحيـــاة كفـــارسٍ في المَعْمـــعِ

الـــنفس لا تعطـــي حقيقـــة كُنْهِهَـــا
هـــي في الوجـــود كأنهـــا في النُّـــزَّعِ

(4/ 9/ 1993م)

كن لاعباً ولا تكن حكَماً

ما زال الإنسان الحر الشريف يبحث
عن الأساليب والأهداف الصحيحة
والنبيلة التي تبني الحياة ؛ وترتقي
بأخلاق الشعوب... فهو دائم البحث
عن كل ما يرتقي بآدمية المرء
وكرامته ، مثله مثل لاعب الكرة
الذي يسعى دائماً إلى تسجيل
الأهداف التي تجعل فريقه يفوز

بالمباراة بعكس (الحَكَم) الذي يبحث
عــن أخطــاء اللاعــبين ؛ ويراقــب
حركاتهم ؛ ويعمـل بحزم على ضبط
تصــرفاتهم... ولــذلك قلــت هــذه
القصيدة بعنوان (كـن لاعباً ولا تكـن
حَكَماً)

أَرســــلْ كلامــــاً طيّــــبَ الألطــــافِ

واصِــــلْ بصِــــدْق مَعْشَــــرَ الأَشــــرافِ

اجْعَــلْ مــن الأُسْــلوب ذوبــاً خالصــاً

وانْسُــــجْ حُلــــى الأَفكــــار بــــالأَفْوافِ

إن كنــت تبحــثُ في النَّــدَى عــن أَهْلــهِ

فاجعــــلْ إمامــــكَ ســــيِّد الأَوْصــــافِ

كــــن في حياتــــك لاعبــــاً متيقظــــاً

وابحــــث عــــن الأشــــياءِ في الأَهْــــدافِ

نَقِّــبْ عــن الرَّجُــل الأصــيل بكَرْمِــهِ

تلـــقَ الكـــلام مُرَصَّـــعاً بقَـــوَافِ

واحـــذَرْ مـــن النَّمَّـــامِ ســـوءَ طويَّـــةٍ

قـــد زانهـــا لفظـــاً بكـــل قِطَـــافِ

ســـدِّدْ سِـــهام القـــول في أوقاتـــهِ

وتجنَّـــبِ الأَوْهَـــامَ في الأَخْـــلافِ

مـــا أَقـــبَحَ الإنســـانَ يَجْعـــلُ همَّـــهُ

صَـــيْدَ الرجـــالِ مُراقبـــاً لخـــلافِ!!!

لا تَجْعَــــلِ الـــــدنيا مَـــــدَارَ غنيمـــــةٍ

قَـــــدْ ماتَـــــت الأَحْـــــلامُ بـــــالأجوافِ

لا تـــــرضَ بـــــالحَكَم العظـــــيمِ فإنَّـــــهُ

قَـــــدْ زلَّ وقتـــــاً في ذُرى الإنصـــــافِ

إذ صـــــارَ يبحـــــثُ عـــــن مزايـــــا حُكْمِـــــهِ

قـــــاضٍ تعَلَّـــــقَ بالقَضَـــــا العَـــــرَّافِ

قـــــال القـــــديمُ بوَصْـــــفِهِ مُتَنَـــــدِّراً:

مـــــا أنـــــتَ بـــــالحَكَم النزيـــــهِ الصـــــافي

هيهـــــات يحلـــــو حُكْمُـــــهُ لشـــــريحةٍ

ردَّتْ عليـــــه تصـــــيحُ باســـــتئناف

مـــا جـــاء في الـــدنيا القديمـــة مُنْصـــفٌ

شَـــيْخُ المَعَـــرَّةِ[1] قالهـــا بشـــفافِ

العَـــدْلُ يُبكـــي الجِـــنَّ لـــو سمعـــوا بـــهِ

يَسْتصـــرخ الأمـــوات في الأَعْـــرَافِ[2]

هـــو مـــن حـــديث الشـــعر طـــارَ بشُـــهْرةٍ

مـــا عـــاد للحكّـــام نَهْـــجُ صَـــوافِ

---

[1] شيخ المعرة: هو الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري.

[2] إشارة إلى ما قاله جبران خليل جبران.

فـــــاسمع بيـــــاني واحـــــتكم لإرادةٍ

لا تُلْـــــقِ بـــــالاً للـــــهَوَى الرَّجَّـــــافِ

يـــــا صـــــاحبي إنَّ الحيـــــاةَ قمينـــــةٌ

بـــــالعيش مـــــا لا تصـــــطلي بخِفَـــــافِ

والعقـــــل تـــــاجٌ في الـــــرؤى لمبـــــادئٍ

أَزْرَى علـــــى خُبـــــثِ الـــــورى الرَعَّـــــافِ

(2002/3/8م)

تراث

تـــــراث العُـــــرْبِ أَشْـــــكالٌ تُــــزَفُّ

تُـــــثير العَقْـــــلَ إبــــداعاً يَــــرِفُّ

تجـــــارب أُمَّـــــةٍ تختـــــال مَجْـــــداً

ملامحهـــــا ســــــنىً ؛ نَهْــــلٌ ورَشْـــــفُ

وتســـــمو في الـــــذواتِ نـــــدىً يبـــــاري

مقامـــــــاً دانيـــــــاً شـــــــرفاً يَحُـــــــفُّ

لســـــان في جـــــبين الـــــدهر غـــــضٌّ

يــــــــذكّرُ بالمعــــــــارفِ أو يَشِــــــــفُّ

يــــــنيرُ ضـــــياؤُهُ عـــــتْمَ الـــــدَّياجي

بأيَّــــــــام وأَحْسَــــــــابٍ تَعِــــــــفُّ

فـــــلا تســـــأل عـــــن العَهْـــــدِ المجلّـــــي

بأنــــــداء الفِراســــــةِ طــــــار عُــــــرْفُ

شـــــجاعَتُهم تناهَــــــتْ في سمــــــاعٍ
فَزيْـــــد الخـــــير[1] مشـــــهورٌ ووَقْـــــفُ
وحـــــاتمٌ[2] كـــــان عنوانــــــاً لجـــــودٍ
ورمـــزاً فـــاق، مـــا جـــاراه وَصْـــفُ
أنـــا المجنـــــون بالماضـــــي أبـــــاهي
عَـــذولاً بالضَّـــغائن لـــــيسَ يَجْفُـــــو

(1) كان زيد الخيل الطائي من أشجع فرسان العرب في الجاهلية، وأعظمهم جسماً فلما قدم مع وفد طيء على الرسول الكريم سنة (9هـ) أسلم؛ وكان قد سمع بأخباره وشجاعته ومروءته فلقبه زيد الخير.

(2) هو الشاعر حاتم الطائي المشهور بالكرم والعطاء، وهو من ذبح فرسه للقوم عندما حلّت بهم أزمة شديدة.

أحـــاذر غُرْبـــةً نهضـــت بليـــلٍ

وذاك صـــــراخُ أزمـــانٍ ونَـــزْفُ

أخـــوض غمـــار حـــربٍ في فخـــارٍ

أبـــادر في المواقـــفِ لا أَلُـــفُّ

جَـــلالُ العِلْـــمِ أعلانـــي مكانـــاً

أنـــافسُ بـــالتراث إليـــه أهفـــو

فيـــا نـــدماً علـــى قـــوم تنـــادوا

لَهَجْـــرِ مَكَـــارمِ الأخـــلاق خَفُّـــوا!!

(2004/9/4م)

أرض العروبة

(1)

غنَّيــتُ للشــام، مــا للشــام مِــنْ مَثَــل

مــلءُ العقــولِ تبــاري المجــد بــالأزَلِ

طاقـــاتُ حِلْـــمٍ، وأعـــلامٌ مُعَطَّـــرةٌ

مــن ألــف لــونٍ توشَّــى بالنَّــدى الخَضِــلِ

أشــــدو تراتيـــلَ عـــن أمجـــاد أُمتنـــا

أذوبُ عشـــقاً علـــى أَنْغَـــام مُبْتهِـــلِ

****

دمشـــقُ قلـــبي ومـــلءُ الـــروحِ حُلّتُها

طُـــوفي ضـــياءً بتـــوق الـــنفس للقُبَـــلِ

أَشْـــتاقُ شـــوقاً إلى أفْيـــاءِ أَنْديـــةٍ

تُسْـــبي الفـــؤاد بضَـــفْرِ الشَّـــعْر في حُلَـــلِ

نـــافورةُ المـــاءِ في أنحائهـــا أَلَـــقٌ

قيثـــارة البـــوح تحـــدوها علـــى مَهَـــلِ

تَجَمَّـــــعَ القـــــومُ في وُدٍّ وفي شَـــــغَفٍ

يرنـــون تَوْقـــاً إلى الـــراوي علـــى عَجَـــلِ

****

يُفَنِّـــدُ القـــولَ في الفُرْســـانِ يُحْضِـــرُهُمْ

مِـــنْ غـــابرِ الإرثِ يَـــدْعوهمْ إلى النُّـــزُلِ

مَـــنْ ذا يبـــارزُ زِيْـــرَ ســـالمٍ بطـــلاً؟!

صَـــوْتٌ لعَـــنْترةَ العَبْســـيّ ذي الطّـــوَل

يُقَسَّـــم الجَمْـــعُ في لِفْقَـــين جَمْعُهمـــا

نَصْـــرُ الكرامـــةِ والأمجـــادِ والأَثَـــلِ

****

جـــار الزمـــان علـــى أنســـام رِقَّتِهـــا

يُـــرْدي العروبـــة ، يرميْهـــا إلى الشَّـــلَلِ

بـــل زارهـــا اللَّيـــلُ في جَهْـــلٍ وَمظْلمـــةٍ

سِـــرّاً وجهـــراً يحـــاكي الإثـــم بالزلـــل

كـــذا رأيـــت الخطايـــا في سمـــا بلـــدي

تعـــانق الشـــرَّ بالأضْـــغانِ والخَطَـــل

(2)

يَمَّمْــــتُ وجهـــــي إلى مِصْـــــرٍ أُذَكّرهـــــا

بِنسْـــــبةِ القــــــوم مِــــــنْ آمادهـــــا الأُول

مـــــن عَهْـــد آمـــونَ[1] لا تُنْسَـــى أصـــالتها

إلى الإبـــــاء مـــــن التَّوْحيـــــد والمُثُـــــل

قُـــمْ يـــا صـــلاح[2] وشـــاهِدْ مـــا جَـــرَى عجبـــاً

طـــاش القـــرود بـــأرض النيـــل بالنَّغَـــل[3]

---

[1] آمون: هو (توت عنخ آمون)، وكان أحد فراعنة الأسرة المصرية الثامنة عشرة في مصر القديمة؛ وحكم بين (1334 و1325ق.م) وهو أشهر الفراعنة بما حققه من إنجازات وانتصارات في الحروب؛ وجاء بعد أبيه (أخناتون) مُوحِّد الآلهة في إله واحدٍ أحَد هو (آتون)، واكتشف قبر (آمون) عام (1922م) في وادي الملوك.

[2] صلاح: هو صلاح الدين الأيوبي الذي وحَّد مصر والشام.

[3] النَّغَل: الفساد والعبث...

عـــاثوا فســـاداً، ومـــا أبقـــوا علـــى قـــيمٍ

بـــين العبـــاد، أشـــاعوا الكُـــره بالحِيَـــل

قُـــمْ يـــا جمـــالُ[1] وســـدّد سِـــكَّة كَسَـــرتْ

حُلْـــم العروبـــة مـــا أَبْقَـــتْ علـــى أمـــلِ

والقـــــاهريُّ بـــــأرض الخـــــير مُفْتقِـــــرٌ

إلى الشـــــراب، وســـــامتها يـــــد الغَلَـــــلِ

لهفـــي عليهـــا يناديهـــا ويـــا أســـفاً!!

طـــار البغـــاث بلـــبّ العُـــرْب بالعِلَـــلِ

---

[1] جمال: هو جمال عبد الناصر الذي رأس الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسورية في 22/2/ 1958م)

(3)

آهٍ فلســـــطين قَـــــدْ هُـــــدَّت عزائمنـــــا

يـــا نكْبـــةً أَرّثـــت للقتـــل والنَّكَـــلِ

سَـــبْعٌ وســـتون أدمـــت أَضْـــلعاً وَخَـــزاً

منهـــا تناســـلت الـــويلات بالهَبَـــلِ

يـــا نكْسَـــةً مـــا لهـــا في ذاتنـــا شَـــبَهٌ

إلا كـــوارث للأَحْبَـــار والـــدَّخَلِ

قتـــل وذَبْـــح وتـــدمير يفاجئنـــا

يـــدمي القلـــوب ويـــذروها بـــلا خَجَـــلِ

هاجـــت وماجـــت بـــأرض الله نائِبَـــةٌ

لهفـــي عليهـــا وقـــد جُـــرَّت إلى الخَلَـــلِ

قُـــمْ يـــا بـــلالُ[1] وأذّن في مواقعنـــا

القـــدس ضـــاعت وتاهـــت في دُجَـــى الـــدجل

قـــم يـــا صـــلاح[2] تأمـــل في كنائســـنا

مَهْـــدُ المســـيح مـــلاهُ الحَبْـــر بالسَّـــفَل

يُهـــوّد الإرث والتـــاريخ في صَـــلَفٍ

لا يَرْعـــوي عـــن ضـــلالٍ جَـــدَّ بالهَلَـــل[3]

---

[1] بلال : هو بلال الحبشي مؤذن الرسول الكريم.

[2] صلاح : هو صلاح الدين الأيوبي الذي حقق انتصاراً تاريخياً في معركة حطين وهو صاحب العبارة المشهورة (الدين لله والوطن للجميع).

[3] الهلل : رفع الصوت بإيقاعات لا معنى لها.

(4)

أرض العروبـــة أبكيهـــا علـــى كَمَـــدٍ

في أرض لبنـــانَ ذابَ السُّـــمُّ بالعَسَـــل

آهٍ علـــى الجـــرح ينـــزو حُرْقـــةً نكـــداً

يُغـــرّدُ الغَـــدْر في الأوصـــال بالخَبَـــلِ

قـــد كـــان لبنـــان صَـــرْحاً عاليـــاً فرحـــاً

بالحُـــبّ والشِّـــعْرِ في الآمـــال والأُصـــل

بـــــيروت يـــــا قِبْلــــةَ الأنغـــــام أُغنيــــةً

يـــا زُرْقــــةَ العَـــينْ[1] في الأحـــداق والُمقَـــل

مــــــاذا دعــــــاكِ إلى نَكْــــــثٍ لعُهْــــــدتنا

نحـــن الأقـــارب في الأنســـاب والنِّحَـــلِ!!

لــــــولا مقاومــــــةٌ شَــــــدَّت عزيمتنــــــا

صــرنا نشــك بأصــل العُــرْب والفِصَــل[2]

---

[1] المقصود بزرقة العين: الإبصار المعجز؛ نسبة إلى (زرقاء اليمامة) التي كانت تبصر من مدى مسيرة ثلاثة أيام ويعني هذا أن بيروت لم تعد قادرة على رؤية الحقيقة.

[2] الفِصَل: جمع الفصيلة؛ وهي عشيرة الرجل وقرابته.

تُـــرْبَ الجنـــوب، أيـــا رمـــزاً بمُعْـــتركٍ

أبطالـــك الصّـــيْد أضـــحوا مَضْـــربَ المَثَـــل

ظلُّـــوا علـــى العَهْـــدِ إيمانـــاً وتَضْـــحيةً

بـــالنفس جـــادوا لنَصْـــرٍ قُـــدَّ مـــن نَبَـــلِ[1]

حـــازوا شـــهادة خُلْـــدٍ في قداســـتها

عنـــد الإلـــه مـــع الأحـــرار والبُـــذُلِ[2]

---

[1] النَّبلَ: مثل النبيلة: الفضيلة.

[2] البُذُل: جمع تكثير للباذل؛ وهم الكرماء والأجواد.

(5)

أمـــا العـــراق فصِـــنْو الشـــام في أرجٍ

ظـــلُّ الخلـــود بأخبـــار لـــدى الفُضُـــل[1]

أُوْروكُ قـــد أرّخـــت سِـــفْراً لحكمتهـــا

تُجلـــي المصـــير، ورادتهـــا خـــلا جَـــدَلِ

جلجـــامش البطـــل المقـــدام في ثبـــتٍ

أردى عفاريـــت غابـــاتٍ بـــذي الشُّـــعَل[2]

[1] الفضل: جمع كَثْرة للفاضل.

[2] الشُّعَل: الفرس ذو الغُرَّة البيضاء. وعفاريت الغابة: إشارة إلى غابة (الأرز) التي ذكرتها ملحمة (جلجامش) وقيل: إن العفريت (خمبابا) كان يحرسها. وجلجامش: البطل الأسطوري في الملحمة السومرية هو من قتله، ومن ثم حاول إعمار مدينة (أوروك) وإرساء العدل فيها.

حضـــارة النَّهْـــر نادتنـــا علـــى وهـــجٍ
غـــاص الســـواد بســـرٍّ كـــان في بَعَـــلِ

أرادت الخُلْـــــدَ أزمانـــــاً ومعرفـــــةً
شـــريْعةُ العَـــدْل[1] صـــاغتها بـــلا مَلَـــل

بغـــدادُ يـــا غُـــرَّة في السِّـــحْر تفتننـــا
مصـــباح عِلْـــم يُضـــيء الـــروح بالسُّـــبُل

تـــاريخ مَجْـــدٍ رواه القَـــوْم في فَخَـــرٍ
كـــل يبـــاهي بـــأرض النخـــل والحُلَـــل

[1] شريعة العَدْل: يقصد بها قانون حمورابي المشهور.

مـــا زلـــت أذكـــر يـــا بغـــداد رِفْقَتنـــا

بالكاظميّـــــة هَـــزَّتني علـــى جَـــذَل

غَرَفْـــت مـــن روضـــة الأخيـــار منتشـــياً

وكـــل حِـــبٍّ ينـــاديني بـــلا كلـــلِ

أهفـــو إليـــه أُلَبّـــي دَعْـــوةً مَنَحَـــتْ

قلبـــاً شـــغوفاً بحُسْـــن العُـــرْف والجَلَـــل

أوَّاه يـــا وطـــنَ الخْـــيراتِ يـــا بَلـــداً

قـــد جَـــرَّكَ الغَـــرْب للتقســـيم والوَحَـــلِ

خبــث مــن الــرجس ســاد الغــرب قاطبــةً

يــا حَسْـــرةً أكلـــتْ أكبـــادَ ذي الرَّجـــل

قِيْـــدَتْ نســـاءٌ علـــى مـــرأىً نَوَاظرنـــا

صـــرن الســـبايا[1] بـــأرض العَجْـــز والفشـــل

سِـــرْب الحرائـــر يبكـــي ضَـــعْفنا خجـــلاً

نِمنـــا بليـــل علـــى خَـــوفٍ بمُعْتقـــلِ

قـــد ســـامنا الغـــربُ ذّلاً دائمـــاً أبـــداً

صـــار الـــدواعش حكامـــاً علـــى الأَجَـــل

[1] السبايا: جمع السبية، وهي المرأة الأسيرة أو المنهوبة في الحرب وغيرها.

(6)

أرضَ العروبــة[1] ، هــل يكفيــك مــا فَجَــرتْ
فيــه الخبائـــثُ شـــالتنا بـــلا وَجَــل

فُكـــي القيـــودَ مـــن البلـــوى مقاومـــةً
كُـــلَّ البُغَـــاةِ وصـــدقُ القـــول بالعمـــل

تشـــرينُ[2] يـــا عَجَبـــاً للعـــرب في زَمَـــنٍ
مـــات الإبـــاء بـــنفس العـــاجز الهَـــزلِ

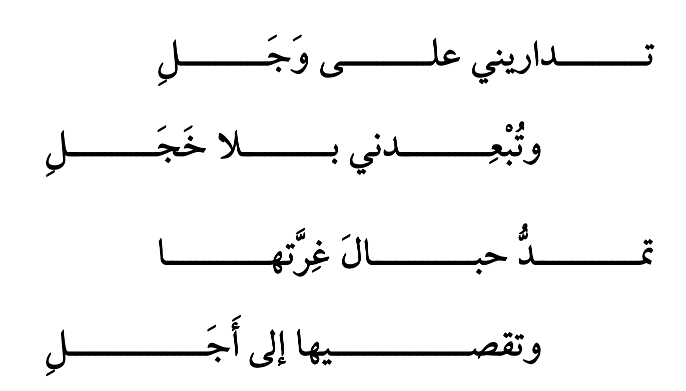
أنـــت المـــلاذ ومـــا للنـــاس مـــن فَـــرَجٍ
إلاَّ إليـــك يُقـــاد الـــرأي بالأمـــل

(2015/6/25م)

---

[1] أرض العروبة : يُقْصَد بها ـ هنا ـ سورية عامة ؛ ودمشق خاصة.
[2] تشرين : يُقصَد به السادس من تشرين الأول/ أكتوبر لعام (1973م) وكان فيه نصر للعرب في العصر الحديث.

الفتاة اللعوب



تـــــداريني علــــــى وَجَـــــلِ

وتُبْعِـــــدني بـــــلا خَجَـــــلِ

تمـــــدُّ حبـــــالَ غِرَّتهـــــا

وتقصـــــيها إلى أَجَـــــلِ

فتـــــاةٌ مـــــا لهَـــــا شَـــــبَهٌ

لَعُـــــوبُ الوَصْـــــلِ والمَطَـــــلِ

تريـــــق حيـــــاءَ أشـــــرافٍ

وتَقْـــــذِفهم إلى الفَشَـــــلِ

وغِـــــرٌّ في تجاربـــــهِ

رَمَتْـــــهُ في لظـــــى الحِيَـــــلِ

فطـــــولُ الـــــوَهْمِ يُرْدِيـــــهِ

ويُغْريـــــهِ علـــــى الهبَـــــل

وليـــــــل الشـــــــوق يُصْـــــــبيه
ويحْمِلُـــــــه علـــــــى الخَلَـــــــل

ضُـــــــلوع الحـــــــبّ تكويـــــــه
إذِ اسْـــــــتمْرا[1] علـــــــى العِلَـــــــل

***

[1] استمرا: تسهيل همزة (استمرأ) أي استعذب واستحلى، وتعوّد الأمر...

سمـــــا توقـــــاً إلى شَـــــبحٍ

ومـــا للحُلْــــم مــــن مَثَــــل

فيـــا شمســـاً علــــى شَـــفَقٍ

تضـــــيء صـــــباحَ مُرْتحِــــلِ

ويـــــا بَــــدْراً جــــلا لــــيلاً

يُـــــثيرُ الـــــنفس في حُلَــــلِ

ويــــا امْــــرأةً كطـــــاووسٍ

أعيــــدي العقــــل للرجُــــلِ

أعيـــــدي بعـــــض أحـــــلامٍ

فَقَـــدْ سُـــرِقت علـــى عَجَـــل

وردّي نَـــــبْضَ آهـــــاتٍ

لَكَـــمْ حُرِقَـــتْ علـــى مَهَـــل!!

وصـــوني الوجـــد في صِـــدْقٍ

فلطـــف الـــرَّوْض في الظُّلـــلِ

أصـــيخي الســـمع في رَهَـــفٍ

وغَـــذّي الـــروح بـــالغَزَلِ

وكـــــــلٌّ نــــــداء أحبـــــابٍ

يطـــــوف رجـــاً علـــى أَمَـــلِ

كــــذا أمــــري أيـــا وَلِهَـــاً

تَفَكَّـــــــرْ في جَنَـــــــى الأُوَلِ

(1982/7/7م)

أنا والحياة

...وأشـــــهد إنَّـــــكِ الجَـــــاني

صَـــــريحُ القَـــــوْلِ عنـــــواني

قضـــــيت العمـــــر أَشْـــــجاني

أوافي حَـــــــــقَّ بســـــــــتاني

أخـــــطُّ حــــــدود مملكـــــتي

وحَـــــوْضِ زهورهــــا الحـــــاني

رحيــــق الــــــروح يســــــحرني

تـــــثير العِطْــــــرَ أردانـــــــي

فيأخـــــــــذني إلى غـــــــيم

ويــــــــزرعني وينســـــــاني

يعلّقـــــــني بكــــــل فضـــــا

يمـــــاهي الــــــنَّفْسَ، يرعــــاني

***

أنــــا صَـــــرْحٌ بـــــلا حَجَـــــر

ونـــــبض الشـــــعر شِـــــرْياني

أنـــــا تـــــوق وفلســـــفتي

تـــــنير قلـــــوب إخـــــواني

فضَـــــعْفُ الجســـــم محتمـــــل

بـــــلا كمـــــد وأَحْـــــزَانِ

ومـــــوت الجســـــم في قَتْـــــلٍ

غريـــــبُ الفعـــــل للجـــــاني

ومـــــوت الــــوعي في صـــــمتٍ

زرايـــــــة كـــــــل إنســـــــانِ

ومـــــوت العقــــل ذو عَجَـــــبٍ

فيـــــا خوفـــــاً لبُنْيـــــانِ!!

نزيـــــف الجـــــرح أفْـــــزَعني

وعـــــتم الفكـــــر أَدْمـــــاني

فيـــــا وعـــــداً بـــــلا أَمَـــــلٍ

وظلـــــم الجَهْـــــلِ أرداني

تمـــــــــادى في ضَـــــــــلالتهِ

بكــــل الشـــــتم يَلْحَـــــاني[1]

فيـــا أســـفاً علـــى رَجُـــلٍ

يعـــــيش بظــــل أكـــــوان

يثـــــور الهـــــمُّ في دَفْـــــق

بـــــدمع جــــدَّ هَتَّـــــانِ

***

[1] يلحاني: يسبني ويشتمني.

حبـــــاك الله يـــــا وطـــــني

تحيـــــــــــاتٍ بأفنـــــــــــانِ

أنـــــا المـــــزروعُ أغنيـــــــةً

لألقاهــــــــــا وتلقـــــــــاني

يعــــــيش النَّــــــذْلُ في دَعَــــــةٍ

يفـــــاخِرُ كــــــلَّ ســــــلطان

فيــــا خـــــوفي علــــى قــــومٍ

أزاحـــــوا الخُلْــــــدَ للفــــاني

شـــــــــهيد الله في قِــيَـــــــمٍ

هـــــو الأرقــــــى بأوطــــــاني

ســـــــلام مـــــــن طهارتـــــــه

لســــــاح المجـــــــد ربــــــاني

(2011/9/4م)

دثريني

دثّـــريني كُـــلُّ مـــا فيـــكِ حَنَـــانْ

بعـــد أن ضـــاقَ فضـــائي والمكـــانْ

اكـــتبي أطـــلالَ قلـــبي عَبَقـــاً

كـــان رَشْـــفاً مـــن حيـــاةٍ في الزمـــانْ

كنـــتُ مـــن قَبْـــلُ نســـيماً ضـــائعاً

يجتلـــي ثـــوب بَهَـــاءٍ في الجَنَـــانْ

اقرئـــــي أوردتـــــي في نَزْفِهـــــا

لأَيَـــادٍ وهْـــيَ تَـــدْنُو بالـــدِّنَان

ارسُـــمي للعشـــقِ توقـــاً غـــامراً

لا تلـــومي كُلَّمـــا ضـــجَّ العِنَـــانْ

هـــل رأيـــت الوجـــه في أســـقامه

ذاهـــلاً عـــن وَرْدةٍ مثـــل الـــدِّهَان

لســـت صـــخراً ثابتـــاً في رَوْضـــةٍ

لســت مُهْــراً يمتطــي ظَهْــرَ الحِصَــانْ

إنـــني الـــذكرى تـــراءَتْ في لظـــىً

صــاغها الصُّــبْحُ علــى جَفــن الحِسَــانْ

جمّعـــــيني في تلابيـــــبِ الهَـــــوَى

قَبْــــلَ أَنْ يسْــــحقَها ذاكَ الرهــــان

فِتْنَـــــةُ الأَعْمَــــــارِ في أيامهــــــا

تجعــل الشَّــيْبَ يُــرَى قَبْــلَ الأَوانْ

تـــنحني أَظهرُنـــا مـــن حَمْلـــها

ترتمـــي في عَجْزِهـــا عنـــد الهَـــوانْ

شَـــمْسَ رُوحـــي راح حَـــرْفِي صَـــبْوةً

وفـــؤادي عـــاد ثبتـــاً حيـــث كـــان

(2004/4/7م)

وحدة الشام ومصر

لبَّى فرسان الوحدة نداءها القومي الأصيل فاتجهوا إلى القاهرة مرة بعد مرة، فكان إعلانها في (22/ 2/ 1958) واختير الرئيس (جمال عبد الناصر) رئيساً للجمهورية الوليدة باسم (الجمهورية العربية المتحدة) ولكن الانفصال الأسود لم يجعل فرحة العرب تدوم بأول وحدة اندماجية للعرب في التاريخ الحديث حين اجتمع كل المتآمرين عليها وأعلنوا الانفصال بين القطرين الشقيقين في (28/ 9/ 1961م)...

ولذا كانت هذه القصيدة في الذكرى الثلاثين لتحقيق الوحدة، أملاً في إعادتها:

نـــــادَتْ دمشْـــــقُ : بعـــــزَّة الفرســـــانِ

اُبسُـــــطْ لِمصْـــــرَ مبـــــاهجَ الأَكْـــــوانِ

طـــــارُوا إلى وَطـــــنِ الكِنَانـــــةِ خُشَّـــــعاً

عَقـــــدُوا العزيمـــــةَ غَـــــامروا برِهَـــــانِ

بَـــــردى يُعـــــانقُ نِيْلَهـــــا في دَوْحَـــــةٍ

نَشَـــــرتْ رُبَاهـــــا طيّـــــبَ الأَغْصَـــــانِ

مِصْــرُ الــتي دَرَجَــتْ هــوىً في شِــعْرنا

تُعْلـــي العروبـــةَ تَرْتقـــي بأَمَـــانِ

مـــا هَـــلَّ فَجْـــرٌ دُونَ جَمْـــعِ لوائِهـــا

بالشــــامِ يَزْهوهـــا سَـــنَى الإيمـــانِ

* * *

أَيَّـــان أَنْســـى يَقْظَـــةً لِبدايـــةٍ

في وَحْـــدةٍ بَـــدَرَتْ مـــنَ الخِـــلاَّن؟!

يــا وَحْــدةً قَهَــرتْ متــونَ نِكايــةٍ

لــــذوي المطـــامعِ في ذُرى الأَوطـــانِ

أَلْقَــــتْ بنُــــور يَقينهـــــا في ذاتنـــــا

نَبْضـــــاً يَـــــدُقُّ بلهفَــــةِ اللَّهْفَـــانِ

جـــادَتْ علـــى الأَحْـــرارِ مَجْـــداً دائمـــاً

نَبْعـــــاً يفـــــيضُ برَوْضِـــــها الفَتَّـــانِ

نَحَـــــرتْ رقـــابَ الكَيْـــدِ في أَوْداجـــهِ

طـــــردَتْ ظـــلامَ اليـــأسِ والأَحـــزانِ

* * *

مـــا كـــانَ أعظَمَهـــا لقـــاءً خالـــداً

لـــــولا سَـــــقَامٌ طالهـــا يطعـــانِ!!

أللهُ أكبَــــــرُ مـــــــن دَهـــــــاءٍ نالهــــــا

لمْ يُبْـــــقِ أُسّــــــاً ثابــــــتَ الأَرْكـــــانِ !!

يــــا زَفْـــرَةً نبتَـــــتْ علــــى أَهْـــدَابنا !!

جُـــــدلَتْ بخَفْـــقِ الخَـــوْفِ في الأَجفـــانِ

يــــا حَسْــــرةً أَكَلـــــتْ بهــــاءَ حياتنــــا !!

جـــــارَتْ علــــى الأَحــــلامِ والأَزمـــــانِ

أيلـــولُ يــــا شـــهراً جَـــرَى بسَـــوادِهِ !!

فَصَـــــم العُــــرى، وانثـــالَ بالأَكْفـــانِ[1]

---

[1] أيلول: لم يصرف لضرورة الشعر؛ وقد وقع الانفصال الأسود في الثامن والعشرين من أيلول لعام (1961م) ومات جمال عبد الناصر في اليوم نفسه عام (1970م).

أَجْسَــــادُنا حملَــــتْ جَمــــاجمَ فُرْقَــــةٍ

شــــرِبتْ دمــــاءَ الرعشــــةِ الأَسْــــيانِ

يــــا خوفَنــــا مِــــنْ مِحْنــــةٍ مركــــوزةٍ

همّــــاً تنــــاثرَ رِيْحُــــهُ بسِــــنانِ

آهٍ علــــى أَيَّامنــــا مِــــنْ حُمْقنــــا!!!

شــــالَتْ نَعامتُنــــا بنَــــزْفِ بَيــــانِ

(22/ 2/ 1988م)

سر النجاح

يمشـــي الزَّمـــانُ هُنَيْهـــةً يَنْعاهـــا

مَـــدَّت لـــه الآهـــاتُ حَبْـــل رَجَاهـــا

فالـــدهْرُ يقتـــلُ في النفـــوسِ رُغَابَهـــا

فيمـــا جـــرى مـــن يومهـــا وقضـــاها

عِـــشْ مـــا حَيِيْـــتَ بصُـــحْبَةٍ خَلاَّقَـــةٍ

قُـــدْ مُنْهجـــاً أو فِكْـــرةً تَرْضـــاها

إنَّ النَّجـــاحَ طريقُـــهُ معروفَـــةٌ

الجِـــدُّ والصـــبر الجميـــل خُطَاهـــا

سِـــرْ في عزيمـــةِ فـــارسٍ بَطَـــلٍ ولا

تـــركنْ إلى الأيَّـــام كـــي تلقاهـــا

جاهـــد ببـــذلٍ عاقـــداً لَمِشِـــيئةٍ

تَعْـــلُ الجبـــالَ مكانـــةً ؛ وذُرَاهـــا

واشــرب كؤوســاً مــن سُــلافة حِكْمــةٍ

وتمثَّـــلِ الأمثـــالَ ؛ لُـــذْ بحِماهـــا

فـــارقْ رفـــاق الســـوءِ تـــأمنْ شـــرَّهم[1]

إنَّ المُـــــرُوءَة تُجْتلـــــى بشـــــذاها

ارفـــع إلى الآفـــاق ألويـــة الحِجَـــا

إن الحقـــــائق بـــــادَرَتْ مَعْنَاهـــــا

سِـــرْ في ســـواد الليـــل مرتقيـــاً رُبـــىً

خُـــضْ في معـــامعَ عامـــداً تصـــلاها

[1] شطر البيت مقتبس من مَثَلٍ معروف.

اللـيــل يجــري خائفــاً يُغْــري السُّــرَى

يخشــى النجــوم ؛ يخــاف سِــرَّ رؤاهــا

فعقـــول أبنـــاء الحيـــاةِ ملاذهُـــمْ

تهــوى الوجــود، ومــا إليــكَ ســواها[1]

نامَـــتْ مآقينـــا تُهَـــادي رُوْحنـــا

قلقــاً ؛ ومــا نامــت طيــوبُ مُنَاهــا

ولــد البَهــاءُ علــى شَــغَافِ قُلوبنــا

لا تبتغـــي بَـــدَلاً يطـــوفُ ســـناها

---

[1] سواها : الضمير يعود إلى العقول.

رضـــع الفَطــيمُ نَــدَى أَديــمِ ربوعنـــا

ويـــــلٌ لقَـــــومٍ فــــارقوا أرجاهـــــا

فإليـــك يـــا ربّـــي أُقَـــدِّم مهجـــتي

ذاتُ الإلـــهِ تُعِيـــدُ رَجْـــعَ صَـــداها

(4/ 9/ 2008م)

صباح الخير يا وطني

أُداري الـــــــدَّهْرَ أُغْريــــــــهِ

وروح المـــــــــرء تُسْـــــــبيهِ

تعـــــانق غيمـــــــةً شَـــــرَدَتْ

تُحَـــــاكي النـــــور تُدْنيـــــهِ

بصـــــــدْقٍ جـــــادَ في مَثَـــــلٍ

وَمِــــيْضُ الشَّـــيْبِ يُشـــجيه

يراقــــبُ ضَـــنْكَ محنتــــهِ

وخـــوف الغيــــب يُلْويـــهِ

وخُبْــــثٌ فـــاقَ في إِحَــــنٍ

ينـــــادي الحقـــــد يَكْفيــــهِ

يطـــــوفُ الـــــدارَ في وَلَـــــهٍ

علــــى الأبنـــــاءِ يُجْريــــه

يصـــــيد قلــــوب أشــــــرارٍ

بغَـــــــــدْر راح يرميـــــــــــه

***

صـــــباح الخـــــير يـــــا وطــــني

وبالآمـــــــــال نُعْليـــــــــــهِ

أغــــار عليـــــك مــــــن عـــــيني

شَـــــغافُ القلــــــب تَحْميــــــهِ

رَمَيْـــــــــتَ فـــــؤاد فَتَّــــــانٍ

بـــــــــأدواءٍ لتُرديـــــــــــهِ

وتُحـــــــــرقُ ذُلَّ خَـــــــــوّافٍ

بطَبْــــــــــعٍ رَقّ تُحييـــــــــــه

نعــــــيشُ حياتَنــــــا حُبّـــــاً

بمـــــــاءِ الــــــورد تَسْـــــــقيهِ

تـــــوزع خَيْــــــركَ الـــــوَافي

علــــــى السُّـــــكّانِ تُسْـــــديه

وإن تاهـــــــــت ضـــــــــمائرنا

تــــــداري الهَـــــــمَّ تُسْـــــليه

***

يَسُـــــود الحـــــب يــــا وَلَــــدي

بصِـــــــدْقِ القَــــــوْلِ يَفْديـــــــهِ

يحــــــوك قصــــــيدة ولهــــــى

فيطلقهـــــــــــا لتدنيـــــــــــه

فـــــــإن وَفَّــــــى بذِمَّتِــــــــهِ

فكُـــــــلُّ الكَـــــــوْنِ يَرْثيـــــــهِ

(2007/3/8م)

لغتي عشقي

أمَّ اللُّغَــاتِ، وصــوت الشــعر يُغْريهــا

نــارٌ مِــنَ الشــوق تشــدوها أغانيهــا

أمَّ اللغــاتِ حفظــتِ العَهْــدَ مــن قِــدَمٍ

جُلــت الــديار وأَسْــكَنْتِ المنــى فيهــا

ذاب الفـــــؤاد بأفكـــــار لمملكـــــة

صـــغت العواطـــف دَمْعـــاً في مآقيهـــا

هـــام المُحِبُّـــون في لَيْـــلٍ وفي بَلَـــجٍ

شـــدُّوا إليـــك طُيْـــوبَ الـــنفس تُـــذْكيها

سَـــكَنْتِ في مُهَـــجِ الأشـــراف، في أَلَـــقٍ

أنـــت القصـــيدةُ للأيّـــامِ تُزْجيهـــا

غَنَّـــى الوفـــاء بكـــل الفَـــنّ ممتـــدحاً

صَـــوْتَ العقـــول تجلَّـــى حيـــث تُسْـــديها

يــــا حــــافظٌ[1] يــــا إمــــامٌ في مُقَدِّمــــةٍ

أَهْــدَيْتَ فَضْــلَ معــاني الشــعر تكفيهــا

أَسْــدَيْتَ قــولاً عــن الإعْجــاز في حُجَــجٍ

ترنـــو إليهـــا بعـــين الفَضْـــلِ تحميهـــا

تأسَى علينا ، نسيناها على عَجَلٍ

ومـــا دَرَينـــا ، الـــدُّنى ترســـو بنادِيْهـــا

آهٍ عليـــك مـــن الأَوْهَـــامِ يـــا لغـــتي !!

تناهـــب السِّـــحْرَ كُهَّـــانٌ لعادِيْهـــا

(1) هو الشاعر العربي حافظ إبراهيم الذي شاعت قصيدته "اللغة العربية تنعى حظها في أهلها" على الألسن ؛ انظر الديوان 1/ 253 ـ 255.

مــــا أَقْـــبَحَ الجهـــلَ في قَـــوْمٍ تـــداركهم

سـوءُ الفَعَـــالِ ولم يـــدروا معانيهـــا

والحَـــرْف كـــأسٌ ومـــا للكـــأسِ مِـــنْ شَـــبَهٍ

يحلـــو الشـــرابُ بعَـــذْبِ الحَـــرْفِ يُسْـــبيها

أنـــت الزمـــان بـــأفق الكـــون نقـــرؤه

كـــل النـــداءات تمضـــي إذ تناغيهـــا

تبكـــي اليمامـــات مـــن فَـــيْضِ الأســـى فَرَقـــاً

ويَسْـــكُن الشـــوق في الأوطـــان يرويهـــا

أبكـــي عليـــك وأذري الـــدَّمْعَ منســـكباً

مـــن نـــاكِرٍ لجميـــلِ القَـــوْلِ يُرْديهـــا

مـــا زِلْـــتِ في خـــافقي فَـــرْطَ السَّـــنَاء هـــوىً

إذْ أَرْسُـــــمُ الـــرُّوْحَ للعليـــاء أُهْـــدِيها

إنـــي أفـــيض بعشـــق لـــيس يعرفـــه

مـــن الأنـــام إذا مـــا هَـــبَّ راقيهـــا

يمـــوج إرْثُـــك مِرْنَانـــاً علـــى شَـــفَتِي

تُـــرَاه يَعْـــدِلُ نَشْـــوى القَلْـــبِ يُحييهـــا

الحِـــبُّ أَنْـــتِ ينـــاغيني علـــى وَلَـــهٍ

والبَـــوْحُ في حكمـــة الأَقـــدار يـــدنيها

أمَّ اللغـــات ومـــا إلاك مـــن أَمَـــلٍ

إلا انتمـــائي لأرض الخـــير أســـقيها

أرض الأحبـــة والأحـــلام في شَـــرَفٍ

ترســـي الأمـــان وتَـــرْويني دواليهـــا

17/ 4/ 1980م

قصة قريتي

إذا كنت مشغوفاً بدمشق بوصفها القلب والعقل والسكن، ومدارج العلم والعِرْفان، وملتقى الأصدقاء والخِلاّن فإني لم أنسَ قريتي التي درجت فيها أيام الطفولة حتى الصف السادس الابتدائي... وفيها غرفت الغَرْفة الأولى من بهاء الطبيعة ورونقها؛ واكتويت بالقبضة الأولى من جَمْر العادات الاجتماعية العتيقة؛ وسحقت بالنزر اليسير من العيش الكسير... ولكنها ظلت في الفؤاد إلى أن نالها ما نالها من أحداث الأزمة الكارثية التي تعيشها سورية فكانت هذه القصيدة:

هتفْـــــتُ للقريـــــةِ العُليــــا[1] أُناديهـــــا

أُهـــدي البهـــاءَ لأَبنـــاءِ الأُلَـــى فيهـــا

يَمْضــــي البنـــاءُ علــــى آثـــارِ خُطّـــتهم

تُمحــــى الخطايـــا بأفْعـــالٍ نُجَلّيهـــا

الإسْـــمُ[2] حَـــوْشٌ ؛ ومـــا للحـــوشِ مـــن مَثَـــلٍ

رفَّ الربيـــع ســــنىً، أَذْكَـــى مَغَانيهـــا

---

[1] ترتفع قريتي عن سطح البحر نحو (1950م) وربما تكون أعلى قرية مأهولة في سورية..

[2] الاسم في الأصل همزته همزة وصل، وقد قطعت لضرورة الشعر.

العُـــرْبُ نِسْـــبَتُهَا ، والعِلْـــمُ صِـــبْغَتُهَا

كـــلٌّ يُبـــاهي بأَمْجـــادٍ يُوَفِّيهـــا

كُـــلُّ الحقـــولِ شـــرايينٌ مُعَطَّـــرةٌ

تشـــدُو الطيـــورُ بأَنْغـــامٍ لواديهـــا

تزنَّـــر الغُصْـــنُ بالأَزْهـــارِ مـــن فَـــرَحٍ

ظِـــلٌّ ظليـــلٌ لحَـــورٍ رَاحَ يَفْـــديها

تجـــري العيـــونُ تنـــادي عاشـــقاً ولهـــاً

هَمْـــسُ العُيُـــونِ مُنَـــدَّاتٌ أَغانيهـــا

ويضـــحكُ الـــروضُ مـــن أَعمـــاقِ نَشْـــوَتهِ

إِذْ رنَّ صـــوتٌ بـــأَعلى الغُصْـــن يُـــذْكيها

هَـــــزَّ الجمـــــالُ رؤوســـــاً في مَـــــذَاهبها

إِنَّ اللقـــــاءَ طَرِيْـــــفٌ في نَواحِيْهـــــا

يحلـــو الكـــلامُ علـــى أَطْيـــافِ رِقَّتهـــا

يـــذرو الـــدموعَ صـــلاةً في لياليهـــا

عِشْـــتُ الطفولـــةَ أَحْيـــا ذَوْبَ أُمْنِيَـــةٍ

كُـــلُّ الجراحـــات تـــبرا في مراقيهـــا[1]

---

[1] تبرا: الأصل تبرأ؛ وسهلت الهمزة للضرورة.

رَمَيْـــتُ كُـــلَّ شِـــراكِ الجَهْـــل في نَفَـــقٍ

أَغْلَيْـــتُ مَهْـــراً لتُـــرْبٍ مـــن روابيهـــا

قَـــذَفتُ نفســـي إلى المـــأمولِ أودعُـــهُ

سِـــرَّ الأَمـــاني بأفكـــارٍ أُنَاجيهـــا

يـــا حامـــلَ الـــوَهْمِ إنـــي ضِـــقْتُ في بَلَـــدٍ

مـــن صـــحبة الوَغْـــدِ أَعْيَـــى إذ أُداريهـــا

قـــد ضـــجّت الـــنفسُ بـــالآلام تحْسَـــبُها

مراتـــع الجـــنِّ في أهـــدابِ مُجْريهـــا

مـــا قيمـــةُ الزَّهْـــرِ في أرضٍ يلطّخُهـــا

إِثْـــمٌ عظـــيمٌ، وأوزارٌ تغـــذيها؟!!

يـــا قَلْـــبُ إنـــي لأرض الحـــوش مُنْتسـبـاً

خُـــذْني لنـــارٍ، وَجِيْـــبُ القَلْـــبِ يُـــذْكيها

دمشق (2012/12/15م)

حُكَّام القهر

كُــــلُّ مــــا في الكــــونِ كيــــدُ الكائــــدينْ

سَــــــكَنَ الحِقْــــــدُ قلــــــوبَ القــــــادرينْ

يــــا زمــــانَ القهــــرِ يــــا ذلَّ الــــورى

نســــــيَ الحُكَّــــــام بــــــؤسَ الحــــــالمينْ

أصــــبح الحُكّـــــام ســـــيفاً قاطعـــــاً

لا يبـــــالون دعــــــاءَ الواصــــــلينْ

صُــــــــمَّت الآذان في أعطـــــــــافهمْ

لم يعــــــودوا في عِـــــدادِ الـــــراحمين

غــــرز الســــلطان ظُفْـــــراً ناشـــــباً

في رقـــــاب الفقـــــراء الغـــــارمين

أمطـــــر الظلـــــمُ كَـــــلالاً مُـــــدْنِفاً

وعُـــــوَاءُ الجَهْـــــل أَصْـــــمى العابـــدين

شـــــرب النـــــاس نفاقـــــاً قـــــاتلاً

مـــــن كـــــؤوسٍ بأيـــــادي الكـــــاذبين

صـــــمت العَجْـــــزُ بصَـــــدْرٍ خـــــافقٍ

طـــار فيـــه الـــذّلُّ ؛ أَغْـــرى الـــذاكرين

باضـــــتِ الأوصـــــابُ في أعصـــــابهم

أَمْسَـــــتِ الأحـــــزانُ تـــــاج البائســـــين

كـــل شـــأنٍ صـــارَ حُكمـــاً مبرمـــاً

قَـــــدَرُ الأَقـــــدارِ يُبْلـــــي الجـــــائعين

نحتســـــي سُـــــمّاً قويّـــــاً ناقِعـــــاً

برِهـــــانِ القُـــــوْتِ صِـــــرنا الخـــــانِعين

عَيْشُـــــنا ضَـــــنْكٌ وسُـــــقْمٌ نـــــازِلٌ

زارنـــــا قصـــــداً بأيـــــدي الغاصـــــبين

لقطـــــاءُ الطَّـــــيرِ في أســـــواقنا

يَنْهبـــــون الـــــرزقَ بـــــين العـــــابثين

شَـــــرَفُ الإنســـــانِ أَضْـــــحى ســـــلعةً

طِفلـــــةُ العُـــــرْي حَـــــديثُ العـــــابرين

باعـــــت العِـــــرْضَ بـــــذُلٍّ جـــــارحٍ

يـــــا فتـــــاةَ القَهْـــــر بـــــين الســـــاقطين

ماتـــــت الغَيْـــــرةُ في أفئـــــدةٍ

يـــــا شـــــقاءً يـــــزدري بالتـــــائهين

تلـــــكَ أَوجـــــاعُ صـــــقيعٍ غـــــارمٍ

ســـاد فيـــه الـــذئبُ بـــين الفاســـدين

حُـــــزَّتِ الأكبـــــادُ زادت لوعـــــةً

أُفْرغَـــتْ أحـــلامُ صَـــبْرِ الصَّـــابرين

كُـــــلُّ عقـــــلٍ في ذُهـــــولٍ غـــــارقٌ

ضـــاعت الآمـــالُ عنـــد العـــارفين

شـــالتِ الـــرّيحُ بِحلْـــمٍ رابـــضٍ

بَعْثَرَتْـــهُ في ديـــارِ الشـــاردين

لـــك عهـــدي يـــا بـــلادي شَـــرَفاً

عَهْـــدُ حُـــرٍّ لا يبـــالي الغـــادرين

أنْ أَظــــلَّ الصَـــوْتَ يعلـــو صـــارخاً

في إهـــاب الحاقـــدين الســـارقين

مَـــــرَدوا كُفْـــراً وزادوا بَسْـــطةً

في حيـــاة لا تُسِـــــرُّ النـــاظرين

حســـــرتي في أُمَّـــــةٍ لا يَمّحـــــي

عجزهـــا في ظـــل حُكْـــم الظـــالمين

(1987/6/5م)

سِرّ الشباب

علّمتني السنون عِلْماً صَفِيًّا
جاد نهجاً بنى كياناً قويّا

برأ العقل من جهالة حقدٍ
يتمطّى خَلْفَ الإهاب زريّا

ومن الغادرين غَدْرَ الثعالي
ومن الصامتين صَمْتاً غبيّا

***

طلـــــع الصـــــبح حِلْيـــــةً في ضـــــياء

ومضـــــى المـــــرء في الوجـــــود حَفِيًّـــــا

قـــد لزمْـــتُ الريـــاض عَهْـــداً طـــويلاً

ذابـــــتِ الشـــــمس في نَـــــداهُ سَـــــرِيًّا

كُـــلُّ مَـــنْ يُبْصـــرُ الجمـــال الـــذي را

ح يُنـــاجي العيـــون توقـــاً نَـــدِيًّا

يَعْـــرِفُ الفكـــرَ في صـــفاءِ عقـــولٍ؛

يرتقـــي في الحجـــا ذكـــاءً ســـنيّا

***

امنحونـــا يـــا مَـــنْ قـــرأْتُم حنـــيني

لُطْـــفَ حـــالٍ مـــن فـــيضِ ذاتٍ غنيّـــا

خبّرونـــا عـــن الشـــباب مضـــاءً

قـــد غـــدا في الحيـــاة عُمْـــراً هنيّـــا

زانـــه الجسْـــمُ في نَضَـــارةِ وصْـــفٍ

طـــار حســـناً أَزْرى نُضـــاراً بهيّـــا

صـــار ســـرّاً مـــن الكيـــان وفيـــه

أَلْـــفُ قَـــوْلٍ يـــثيرُ معنـــىً خفيّـــا

بـــات نجمـــاً ينـــافس الكوكـــب الـــو..

..ضّـــاءَ يســـمو علـــى المحاسِـــنِ حيّـــا

فارشـــف المـــاء مـــن رُضَـــابِ شـــبابٍ

وامـــلأ الـــروح ســـاعةً مـــن نُجيّـــا

لا تَخَفْهـــــا منيّـــــةً لا تُجـــــارى

هـــي حـــقٌّ يَثُـــور فينـــا ســـويّا

لـــك في عـــالم الوجـــود مصـــيرٌ

لا يُمَـــــارى ولا يضِـــــلُّ نســـــيّا

***

سـوف أحيـا مـا دمْـتُ في صـور الأحـ

ـــلام ظِــلَّ المنـــى أُثــير الحميّـــا

وخطـــابي الـــذي ينـــادي القـــوافي

في ربـــوعي يفـــوح عطـــراً جنيّـــا

(1987/4/7م)

رجال الله في الجنوب

زَغْرَد المجد يباهي بالإرادةْ

كبَّر الأبطال في أرض الجنوبْ

عَطَّرتهم قيم المجد بألوان الطيوبْ

بورك الجرح الذي أزكاهمُ

في صباحات المنى.

***

يا رجال الله في وَقْتٍ عصيبْ

كنتم النور بليلٍ مُظْلمٍ

كنتم الإعصار في صمت الزَّمَنْ،

لم تهونوا ذات يومٍ

من جهالات العماءْ؛

من ضلالاتِ التَّتَرْ،

لم تزولوا عن مكانٍ

صار بركان لَهَبْ

لم تفرّوا من عِراكٍ فاتكٍ

في مساحات الوغى

أنتم فخرُ المبادي والقِيَمْ

في ميادين الغَضَبْ.

***

يا رجال الله في أحلامنا ؛

لاح نَجْمٌ في سَمَاءٍ كالشُّهُبْ

أبرق الغيْم ، وقَطْرٌ قد هَطَلْ

صَفَّق الريحان يزكي عِطْرَهُ ؛

عطرَ وَرْدٍ في طيوب تنتشرْ

تُونِعُ الأرض رجالاً في الفدا

عمَّروها بأزاهير الشهادةْ

شعَّ فجر في دياجي الظلماتْ

أشعل الصُّبْحَ ضياء للحياةْ

كل مَعْنىً لا يحاكي نَهْجَهمْ

لعبة الجُهّالِ في بَوْحٍ هباءْ

شرف الشعر يباهي خالداً

يعزف الرُّوحَ على شَدْوِ السماءْ

حين صاحت فَرَحاً من تَوّها

تعلن الترحيب ؛ أهلاً ، شهداءْ

حفظوا العرض وصانوا عهدهُ

حين ماج الموت في وادي الفناء...

(2006/9/4م)

المدرسة والحياة

(1)

خَلَق الإلهُ مباهجَ الدنيا لنا
وبنى المحبة في النفوس العامرَةْ
إرْثاً وإيثاراً بهيّاً خالصاً.
نبتت شرورٌ
صاغها ممجوجةً
ليَمِيْرَ في القُرَناءِ أعلاهمْ هُدىً،
المَجْدُ باق في رؤانا ها هنا.

(2)

تاقَتْ عقولٌ حالِمةْ

كي تَصْنع النَّهْج الأصيلْ

تُرْدي الجهالةَ والحماقةَ عازمةْ

ألاّ تضيّع ساعةً من وَقْتها

حتى يحقّقَ ما يريدُ الراغبُ ؛

أو تنحني ألقاً ضروب المستحيلْ

(3)

جادت حياةٌ بالفُرَصْ

إذْ قَدَّمتْ صُنْع الورقْ

ممهورةً بالحِبْر من قِدَم الزَّمنْ

حَمَل اليَراعُ إلى الطُّروسِ مكانةً

ما للطروس على الزمانِ حكايةٌ

إلا لعِلْمٍ نافع ؛

يزهو به الإنسان عمراً طيباً...

(4)

لله درُّ جماعةٍ فيّاضةٍ

مَخَضَتْ تجارب شادها أصحابها

شَمَخَتْ شعوبٌ بالمعارف بعدما

بَقَرتْ بُطونَ الفِكْر في إبداعها،

وعلى أَديم الأَرضِ كانت مدرسةْ.

(5)

في المدرسةْ

فاحَتْ بذورٌ في الرياض نداوةً

ماجت نذورٌ للرفاق كرامةً

صارت مصانعَ في الحياة عظيمةً

نَشَرتْ لواءَ الحقّ في جنباتها

حَمَلتْ هموم الأُمّ في أحلامها

كيما يظلَّ الطِّفْلُ رمزاً للفَرَحْ.

في المدرسةْ

تنمو سَنَابلُ يانعاتٍ باسقاتْ

كُلٌّ يُعَمِّر يَوْمَه لمرادهِ

أَمَلاً قويّاً ثابتاً

يبني الحياةْ ؛

يُعْلي الجباهْ ؛

حتى يطاول في الشموخ نَجَابةً

ترنو إلى قوس الفرح

(6)

دوَّتْ مدافع للبُغَاث تدكُّها

تختار مَدْرسةً بقتلٍ مُوْجعٍ

أشلاءُ طِفْلٍ ؛ طفلةٍ ؛ مشلوحةٌ ؛

منثورةٌ بين الركامْ ؛

حمراءُ قد ضاعت نثاراً في الزحامْ.

لا شيءَ أفظعَ في المشاعر من دمٍ ؛

طفل بريءٌ صار سيلاً من دمٍ

صار الكتاب مُخَضَّباً أَوراقُهُ

ما أنْسَ لا أنسَ الحَدَثْ ؛

حتى يواريني الجَدَثْ

(7)

أوّاهُ يا وطناً يكابدُ فاتكاً

حُزْن كئيب هاتكٌ

ذَبْح جهولٌ قاتلٌ

مشت المنايا في طقوسٍ حاقِدَةْ،

والراية الحمراء تبقى صَامِدةْ

(8)

يا ويلَ أعداء الطفولةِ والبراءةْ

يا ويلَ أَعداءِ الحياةْ

إرهابُهم أَفْرى القلوب فجيعةً

ما عاد للدنيا ثَمَنْ

ما عاد أَمْنٌ في الوطَنْ

صَبْرٌ جميلٌ دائمٌ

والصبر مفتاح الفَرَجْ ؛

فاسمع ندائي يا زَمَنْ

(2012/9/15م)

أين أنت يا حياتي؟

(1)

أين أنت الآنَ يا نبض حياتي؟!

أين أنتِ الآن من جَمْرِ عذابي ؛

من صبابات شبابي ؛

في حضوري وغيابي؟!!

أين أنت الآن عهداً من تباريح الظلامْ؟

فلقد أدميت قلبي

إذ طرقت الباب توقاً،

وشغفت العقل وهجاً،

صرت سمعي

صِرْتِ عُمْري؛

أزرع الورد صفاء؛

أنشر الظل نسيماً

في بدايات البهاء ؛

أطلق الصوت نجيّاً

أرتجي حُبَّ اللقاء

يرجع الموج شجياً

إذ يدوّي في جراحي :

أين أنت الآن يا سِرَّ حياتي؟!!

***

(2)

أشرق الوجد بليلٍ

يرتمي خلف الضلوعْ

عاش همّاً وانكساراً

لم يذقه الصبُّ قبلي

في عذابات الدهورْ

يا جبال الصّدّ رقّي

فاضت العينُ الدموعْ ؛

وردة العمر انتهابٌ

وفراشات الحقولْ

هدّها الرقص الطويل

***

(3)

أرشدوني ـ يا صحابي ـ

صرت طيفاً من خيالٍ

حِرْتُ في أمر التَّلاقي

تاهَ في العقل وجالْ

غير أن العهد طال

ثم نادى في انتشاءٍ

كل شيءٍ في احتمال

كل ما ترجو محال

(2003/10/8م)



سِرٌّ انطفائي

ربما عَزّ الكلامْ

في تراتيل الوَهَنْ

ربما أصحو بليلٍ خائفاً

هدَّني بَرْد الجراح النازفةْ

من حطامٍ مُتْعبٍ

من جنونٍ غاضبٍ

من عذابٍ فوق صَدْرٍ لا ينامْ...

كل شيء في حياتي

يرتدي ثوب الظنونْ

تعتريني كالجنونْ

أسأل الليل الطويلْ

أين أنت الآن في هذا الظلام؟

فأنا المنذور موتاً

ويعاني مِنْ سَقامْ

***

يشهق الصدر الحزينْ

تُصْلَب الأعصابُ في قَلْبٍ دفينْ

أنت سِرٌّ في انطفائي

لا تبوحي في غِيابْ

طيف أسفارِ الرحيلْ

أغرق المَرْسَى الذي

ضاع في لجّ عميقْ...

أَنْتِ مرآةً لروحي

تبصر الليلَ الرهيبْ

تبرئ الجرحَ العنيدْ

غادةٌ في الحُلم تأتي

لا تبالي ـ إن تلظَّتْ ـ

بكلامٍ

أو عتابٍ

أدْمن القلبُ الفِراقْ

ليس من حِبّ سواهْ

طار في العقل لظاهْ

يحمل الشوق لعينيه لهيباً

وأغثني يا حَمامْ.

***

أين أَنْتِ؟ !

أين غبتِ؟

لا تغيبي في متاهات الزمانْ

أنت سرٌّ في انطفائي

أَنْتِ جَمْرٌ في اشتعالي

أنت في البالِ التمنِّي

إن شَرَدْتِ أو رجَعْتِ

أنت في الكون الأمانْ

إن قُتِلْتُ الآن شوقاً

هدّئي هذا الضرامْ

لا تلجي في الخِصَامْ

لا تكوني رشفة اليوم الأخيرْ

أرسمي الآمال زهراً

عانقي أصداءَ روحي

قبل أن تُرْدى حطامْ

(2004/5/5م)

لم يعد للعمر معنى

لم يَعُدْ للعمر معنىً

في مآلات الحياةْ

شَرِب الأوهامَ قومٌ

من أكاذيب الزمَنْ

أظلم الحق وجوداً

واحتكاماً

ومضاءْ

صار همّاً

يجتلي بَرْد السكونْ

يسرق الآهات من بين الشفاه

يَسْرق الأَحلامَ من ليلِ الجفونِ...

لم يَعْدُ للعمر معنى ؛

لم يعد للقَلْب صُبْحٌ

أو بقايا من رَجَاءْ.

***

زَعَم العبدُ الذليلْ

أنَّ ريح الرجسِ من صهيونَ ماجَتْ

غاضبةْ

أن صَمْتَ الذُّلِّ أضحى عادةً

طار خوفاً في النفوس الهائمةْ

همُّها جَمْعُ الدراهمْ

وابتهاجٌ بالعباءات الحديثةْ

زانها النَّساج توقاً

بخيوط من ذَهَبْ

كل ما في الكون صار الآنَ بيعاً وشراءْ

لم يعد للروح معنىً

في مدارات الحياةْ

***

يا رفاقي

عَربَد الدهر امتعاضاً

في مُلاءاتِ الرياءْ

نطق الغَدْر بعُرْبٍ

صافح الحقدُ النّفاقْ

كلُّهم يهوى العذارى

ما لشَيخٍ[1] من حَيَاءْ

رَوْنَقُ الروح تلاشَى

صار ظلاً من دهاءْ

مات حقٌّ ؛

ضاع حقٌّ

كل شيء للفناء

لم يعد للعمر معنى ؛

أو بقايا من رجاءْ

(2008/12/9م)

---

[1] الشيخ : يقصد به بعض شيوخ الخليج من الساسة.

موتنا صار الحياةَ المُنْعَمة

(1)

قَدْ قَرَأْنا في مراثي القدماءْ

أَنَّ في الموتِ انتباهاً ؛

أن في الموت حياةً ؛

أن في الموت انتقالاً

من حياة لحياةْ ؛

أنَّ موتاً قد تلظّى خاسراً

إذ تحدّاه الخوارجْ ؛

أعلنوا للناس يوماً

أنهم صَاروا يُعادونَ الحياةْ

فأَتوا موتاً لعمري

فوق أكْتَافِ البوارجْ.[1]

---

[1] البوارج : كناية عن الخيول...

(2)

حَدّثونا في القديمْ:

يَصْرخُ الناعي طويلاً

يَنْشُر الأحزان نثراً

يدفعُ الأذهان دفعاً

لاحترام الموتِ فَخْراً

كيفما كان السَّبَبْ...

كان جُلُّ العابرينْ

يعلمون الموت حقاً

يحملون الصبر عهداً

يجمعون الصحب في رزءٍ حزينْ

في دروب للعزاءْ

كان للموت جلالٌ

وبهاءْ

كان للموت اعتبارْ؛

كان للموت بهاءْ

(3)

قد قرأنا في الكتبْ

وخَبْرِنا في التجاربْ

أن موتَ الخَلْق حَتمٌ

هو حقٌّ لا مَنَاصْ

في مَقَامٍ وسَفَرْ

إذ يلاقي كل حيٍّ ما صَنَعْ

بين خلق الله أو في الآخرةْ

كُلُّ شيءٍ في كتابٍ مُدَّخَرْ

ناشرٍ أدنى خَبَرْ

(4)

آهِ يا موتاً يماشي ظِلَّنا

هو منَّا ، هو فينا ؛

إنْ هرْبنا منه يأتِ

في المواقيت الأثيرةْ

في صباحٍ أو مساءٍ أو ظَهيرةْ

لا يبالي بالزَمنْ...

في نَوَادٍ أو بيوتْ

في منافٍ أو دروبْ

في جحورٍ وثقوبْ

وسهولٍ وجبالٍ ووهادْ

في المآقي والعيون

في شبابٍ وكُهولْ

في التلاشي والهروب

في العَدَمْ...

لا يبالي كيفما كان المكانْ

ما لِقَوْمٍ من فَرَار،

ما لديهمْ من معانٍ

ما لدُنْيا من قِيمْ.

(5)

آهِ يا موتاً تراءى في النوادي

والمباديْ

في كلام، وغناءْ

في طعامٍ وشَرَابْ

طَعْمهُ المُرُّ استَطابْ

صار حلواً في الحلوقْ

موتنا صار الوجود

والحياةَ المُنْعَمَةْ

في ربوعٍ كالحاتٍ يا بساتْ

زارها أولاد ليلٍ حاقدٍ

هَدَّها جَهْلٌ عظيمٌ مطبقٌ

سار فيها كل أعداء السماءْ.

(6)

موتنا لا يشبه الموت القديمْ

قَدْ تناهى في المباني والصُّوَرْ،

أَوْغَلَ الإرهابُ في قَتْل البَشْر

برصاصٍ، وقِصَاصٍ، وقنابْل

أو بقصفٍ حاقدٍ مِنْ مِدْفَعٍ عَبْر القلاع النائيةْ

أو بقنصٍ غادرٍ

بفخاخٍ فاجرةْ

أينما كان المكانْ...

بات للموت قلوبٌ قاسيَةْ

في متاهات الصدورْ

موتنا أضحى القضاءَ

فاسأل الجلاد كم

جَزَّ رؤوساً ونحورْ

(7)

يأخذ الموت نفوساً دون إنذارٍ صريحْ

عاش عهداً عامراً

في جنونٍ من رُهابْ

يخطف الأرواح رِجْساً

في نداءات الفُجورْ

أو ببَيعٍ غلبت فيه النخاسة

رَجْفة القلب الحزينْ

يا لقَلْبٍ وُئِدت فيه الحماسةْ

(8)

لم يعد للموت معنىً

لم يعد فيه اكتئابْ

صار توقاً للجميع

سكن الأنفاس فينا رغْبَةً

منذ أعوام مَضَتْ

إذ تماهينا جميعاً بالوَطَنْ

راحت الأحداث تمشي

كُلُّ شيءٍ في انشطارْ

لم يعد للخوف وَقْتٌ

أُعْلن الفَقد المريع

في الشفاهِ الراقصات

والأماني الحالمات

لا نبالي بالفَنَاءْ

كيف كان الفَقْد فينا

موتنا صار حياةً دائمةْ

بُعْدنا عن وطنٍ صار المَوَاتْ

إذ هَجَرْنا وطن الأحباب عمداً

صارت الغُرْبة قتلاً وانتهاباً

إنها صنو المماتْ

يا لأيام عجيبة؟!!

طفح الكيْلُ وأدمتنا المِحَنْ

(9)

من زمان كان فعلاً مُكْرهاً

ليس بُدٌّ من ورودهِ

ذات وقتٍ عابرِ

صار في أيامنا سلطانَ يومٍ دائمٍ

لا يُقيم الناس وزناً للسَّبَبْ

إنْ أتى مثل الفُجاءةْ

من تجاويف العمارةْ

أو زواريب الثقوبْ

لم يَعُد فيه مهابَهْ

أيّ شكل جاء فيه

إذ غدا فِعْلَ إرادةْ

عند أصحاب الإمارةْ

عند أرباب الوجاهة

كلهم قد قبضوا حقّ النهايةْ

لم يبالوا بقرارٍ للوَطَنْ

لم يخرّوا بصلاة في شَجَنْ

سَجْدة الإنسان ماتت في المِحَنْ

حشرجات الذُّلِّ ذابت في النفوسْ

(10)

ذاك قول العارفين العابرينْ

في مدارات الزَّمَنْ

وتصاريف الحياةِ الحاضِرةْ

إنَّ فهمي مختلفْ

إذ يموت الحزن حيَّاً

أو يموت القهر قهراً

بل يموت الموت مني

باحثاً بين القبورْ

في رُكامٍ وخَرَابْ

هرب الموتُ بعيداً

طار حُزني في شقاءٍ وعَذابْ

أين أنت الآنَ يا موت الكرامةْ؟!!

أين أَنْتَ الآن يا موتَ الشهادةْ؟!!

إنني أشتاق أن أمشي وَحيداً

وعلى الأكتاف يرتاح

الكفَنْ.

(22/ 2/ 2015م)

"الخنساء" السورية

(1)

حدَّثونا

عن نساء ماجداتْ

تصطلي الآهات حزنا

ترقب الآمال وَهْنا

تطلب الثأر الجميلْ

لا تبالي بالُمحَالْ

همّها ليلاً نهاراً

أَنْ ينالَ الحقُّ من ظلم البغاة العابثينْ

أَنْ تَصُبَّ الأَرْضُ جاماً من غَضَبْ

تقتل التيه وتفني الحاقدينْ

(2)

طارت الأخبار ذكراً

أضحت "الخنساء"[1] رمزاً

هدّها "صَخْرٌ"[2] نحيباً

أعلنَتْ فيه الحدادْ

---

[1] الخنساء: هي الشاعرة المخضرمة تماضر بنت الشريد، وكان أخوها (صَخْر) قتل في غزاةٍ، فبكته، وحزنت عليه ولبست صداراً من شَعَرٍ، وراحت تندبه بشعر يثير المشاعر الجامدة؛ ولما أسلمت تغيّر حالها وقدمت أبناءها للشهادة.

[2] صَخْرٌ: أخوها الأصغر؛ أمّا الأكبر فهو (معاوية).

لبست ثوب السوادْ

ودثاراً من شَعَرْ

لم يفارقْها حياةً

بات ظّلاً للغضبْ

أضْحَت البكّاءَةُ الثَّكْلى شعاراً

في منارات العَرَبْ،

أو حديثاً مُتْرفاً في الليل

عند الساهرينْ.

****

(3)

جاءها نور "محمدْ"[1]

ردَّت الأحزان في كهف الصدورْ

كان يدعوها لإنشاد القوافي

يستزيد الشعر منها مُثْنياً

علَّها تَنْسَى المآسي

بَيْدَ أن الحزن أفرى كبداً

كان صَخْرٌ فارساً ملء الفضاءْ

****

---

[1] كان الرسول الكريم يستنشدها الشعر، وكلما هدأت قال لها: (هيه، يا خُناس)؛ أي أكملي وزيدي.

(4)

نُوِّر القلب الحزين

بالمبادي

طافت النفسُ ترود الأمنياتْ

((شَرَف الوثبة أن ترضي العُلا[1]))

نادَتِ الأبناء[2] في ليل بهيمْ

---

[1] شطر بيت للشاعر العربي الكبير عمر أبو ريشة، من قصيدته المشهورة (يا عروس المجد...) وفيه بعض التصرف.

[2] جرت أحداث معركة (القادسية) من أرض العراق في (13 شعبان ـ 15هـ/16 ـ 19/ 11/736م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد شارك فيها أبناء الخنساء الأربعة وكلهم استشهدوا.

أرضعتهم قيم الأبطال في ساح النزالْ

لم تُجَرّحْ حسباً أو نسباً أو أُمْنياتْ

تدفع الأبطال هَيَّا

نحو مَجْد "القادسيةْ"[1]

يَمْخُر الصوت الصحارى

تجتلي رمز الأمومةْ

نحو آفاق الشهادةْ

في الحروف العربيةْ

---

[1] كان سعد بن أبي وقاص قائد وقعة (القادسية) ضد جيوش كسرى.

صارت الرمز البَهِيْ

في ميادين الشهادةْ...

في ذُكَاءِ الشمس تحيا

تعتلي رُكْن المروءةْ ؛

يا لثارات الرجالْ

من غريبٍ جاس ليلاً في الديارْ!!!

أين صَوْتٌ يكسر الصمت قوياً

من رحاب العامريَّةْ.

****

(5)

كرّ ليلٌ!!

صاح ديك!!

لم يكن صوتاً لديكٍ

أو لطير في السماءْ

كان بوماً ضجّ في وسط الخرابْ

يرتمي صوبَ الربيعْ

صوب آذارِ المجيدْ

كان رمزاً للنماء

كان صوتاً للحياةْ

صار عهداً لأساطير الفناءْ...[1]

ماج فيه الجهل مَوْجاً

مار فيه الحقد مَوْرا

صار فيه القتل شَرْعا

كل ما فيه دمار واغتصابْ

كل ما فيه نحيب في نحيبْ

كل ما فيه سوادٌ في سوادٍ في سوادْ

لم يعد للعيش معنى.

****

[1] هذا المقطع فيه إشارة إلى ما سمي بـ (الربيع العربي) وما يحصل في سورية منذ آذار 2011م.

(6)

هبَّ قوم يدفعون الشر دفعا

أعلنوا نور السناءْ

يفتدونَ الأرض شَهْدا

يحفظون الروحَ عَهْدا

آثروا الذكر الحميدْ

لم يبالوا بأفانين الضلالْ

وفحيحٍ للأفاعي في سراديب الظلامْ

قتلوا جهل الغبيْ

صلبوا حقد الغزاةْ

ركزوا روح الإباءْ

نَصَبوا مَجْدَ الفِداءْ

في ميادين الشهادةْ.

****

(7)

حدثونا ؛ خبرونا ؛ أعلمونا ؛

سردوا في النازلات الماحقات

عن نساء في الحكايا

والخَيَالْ

عند أبناء الزمانْ

عن نساءٍ خالداتٍ من بلادِ الشامِ ؛

من أَرض السلامْ

يعربيات الملامحْ

كانت الأنباء تُرْوَى

عن بطولات الرجالْ

في ميادين الملاحمْ

راحت المرأة تحيا

في رحاب الوطنيةْ

تفتدي الأوطان طُرّاً

غادة الشدَّادِ نادتْ :

زغردي ؛ أُمَّ الشهيدْ ؛

زغردي

جاءك الفرسانُ من ساحِ النضالْ ؛

آهِ يوسفْ ؛ يا موفَّقْ ؛

آهِ إبراهيمُ ؛ شادي ! !

قادهمْ موسى الأبيّ[1]

رشت النسْوان ورداً

باهت الخنساء بالفَخْرِ الجديد

إنها خنساء سوريّا الأبيَّةْ.

****

[1] غادة حسن الشداد ؛ أم موفق استشهد زوجها (موسى راشد الكراد) وأولادها الأربعة الذين ذكرناهم. وهي من درعا البلد (محافظة درعا).

(8)

طافت الأمُّ الطهورْ

في ربوع الكلمات

أنت يا أم غياثْ[1]

طار عباسٌ إليكِ

ثار عمارٌ ويَعْربْ

غار محمودٌ فجادْ

تُعْقد الآمالُ توقاً إذ تغني للحياةْ

كانت الأم الولودْ

---

[1] أم غياث هي (تمينة العباس) من بلدة مصياف في محافظة حماة واستشهد أولادها الأربعة.

تُزْهر الأيام حلماً

وَهْيَ تزهو بالبقاءْ

تنشد الآمال سعداً

في أُخَيَّات المِحَنْ

فلذة الأكبادِ ترعى

لليالي الحالكاتْ

لا تبالي بالدواهي

في صقيع الذكرياتْ

كُلُّهم طافوا نجوماً[1]

[1] الأسماء التي ذُكِرت هي نماذج لتضحيات الآباء والأمهات السوريات اللواتي أصبحن رموزاً في تاريخ سورية والأمة فكم من أم فقدت شهيداً واحتسبته في سبيل الوطن ؛ وإعلاء كرامته.

عُمِّرت أرض الضَياءْ

بالأغاني والدِّماءْ

كلُّهم أضحوا رموزاً

في بلاد الشهداءْ

بينهم شمس الإباء

قرَّة العين الشهادةْ

زانها الفردوس خُلْداً

إذ تباري الأصفياءْ

***

(9)

ناحت الأم الصبور[1]

فِي سكونٍ حارقٍ

وهي ترجو ربَّها

يا عليٌّ ؛ يا وسامْ

ردَّ مجدٌ بالهُتَاف :

آهِ يوسفُ يا هُمَامْ

[1] نعني بالأم الصبور السيِّدة (فايزة كنعان) واستشهد زوجها (علي محمد اسمندر) وابناها (مجد ووسام) وأخو زوجها (يوسف محمد اسمندر) وهي من اللاذقية.

فيِ ظلال من نعيمْ

زادُها حُبٌّ عظيمْ

لتراب طاهرٍ

ثم قالتْ: أين أنت يا خُنَاسْ؟

لجَّ صوتٌ في النداءْ

أُمُّ عدنان المجيدْ[1]

غُرّة الدنيا هشامْ

ثم فاروق الحبيبْ

[1] أم عدنان: أم كريمة من السويداء استشهد أولاد ثلاثة لها وهم (هشام وفاروق وهاشم)، واسم أبيهم (فهد الداهوك).

آهِ هاشمْ

من شهيدْ

إنني الخنساء في العصر الجديدْ

عَصْرِ حِقْدٍ جارفٍ

وغباءٍ صارفٍ

لغزاة من دياجير الظلامْ

دنسوا أرض الكرامةْ

أرض سوريا العظيمةْ

ثم رُدُّوا خائبينْ

صانها أَبْناؤُها

بالدماءِ الزاكياتِ الطاهراتْ

وحنان الأمهات الماجداتْ.

2015/7/1م

القاتل المأجور

تعرَّض العَبْدُ الفقير لعدد من محاولات النيل منه ؛ جسداً وولداً وممتلكات ؛ وما من ذنب جناه إلا أنه يحبُّ وطنه حتى النخاع... وما زال القلق يراوده منذ ما يزيد على أربع سنوات بعد أن احترق بنار أزمة صنعها أعداء الوطن ؛ وجعلوا الجهلة والمغفلين والمارقين من الدين حطباً لها...

ولذلك كانت هذه القصيدة :

(1)

فِي وطنٍ تكتبه العداوةْ

قد ساد فيه الجهل

وغابَ عنه العقل

وضاعت المبادي

وماج فيه البغض والغباء

وطاش فيه الحقدُ والدهاء

أذكى الجنونُ جَمْرهُ

في وَطَنٍ كهذا

ضاعت به الكرامهْ

باتت مآسي الليل في الجحورْ

نامت رياح الغَدْر في العقولْ

والطعنة النجلاءُ في اتساع

"اتسع الخَرْق على الراقع"

(2)

صرت الهَدَفْ

في ساحة الحِرابْ

كل السهام القاتلة

توجَّهت نحو الهدفْ

إذ هاجت الكبودْ

وزاغت القلوب

وعُمّدت بالنار والبارودْ

سيَّارة في شارع مكلوم

تمُرُّ باطمئنانْ

فيها زهور الله
أصابها فُجَّارُ[1] مارقونْ
وغَدْرهم رصاصةٌ مركوزةٌ
توجهت نحو الجَسَدْ
لا يرعوي بُغَاثهم إن كان طفل قَدْ وُجِدْ
فالقاتل المأجورْ
نامَ بقلبٍ من حَسَدْ
ضجّت نفوسٌ يانعةْ
بقَلْبها، وعُمْرها
وكان للإلهْ
الحفظ والرعايةْ

* * *

[1] فُجَّارُ: لم ينون للضرورة.

(3)

قنبلة في مكتبي

تفجّر الحياة

لتقتل المُهَجْ

تفوزُ بالرَّهَجْ

وكلُّ شيء في هَرَجْ

قد أورق الحديدْ

وفاز بالفَسَادْ

وكُلُّ شيءٍ بقَدَرْ

(4)

القاتل المأفونْ

تربَّص الدوائر

وبات في المغاور

لم يترك السَّفالةْ

سيارة الفِخاخ والجريمة

على جناح الموت تنتظرْ

في الصحو والغيابْ

تفجَّرت بيوت أبرياء

وبيتنا كان الهدفْ

...

وعربَد الفَنَاءْ

يا حَسْرةً

هبَّ الجميع خائفاً

وماجت الهموم

والقاتل المأجورُ في عَمَاءْ

يمارس الغباءْ

خلف ستار من عَبَثْ.

(5)

يا قادماً تواً من السماءْ

أَشرِق بنور الصُّبْح

حطم قيود الغَدْر

زلزل ظهور الحقد في النفوس

ما عاد للخير وجود

إذ ضاعت القيم

فالكل يمضي خائفاً

يبيت في الأوهامِ نزفاً جارحاً

صار المُعَنَّى في المدى

إذ ضاق فيه المرتجى

والكلّ في الفضاء

يصيح في السماء

رحماك يا ألله!!!

وفي البلاد نور

وفي العباد نور

وفي الحياة نورْ

(6)

تبسَّم الرجاء

شَدَتْ طيور النُّورْ

تفتَّحتْ ورودْ

وانحطمت قيودْ

يصيحُ للضياء

ليسحق الجراحَ

ويطفئ الحريق

هناك عند الفجر

سيظهر الرجاء

ببسمة الحياة

(2014/6/10م)

المؤلف في سطور

- دكتوراه في الآداب - جامعة دمشق

1 - أستاذ الأدب القديم - قسم اللغة العربية - جامعة دمشق - منذ عام 1983 وما يزال.

2 - أستاذ معار إلى جامعة قطر - قسم اللغة العربية - كلية الإنسانيات 1992 - 1997 - قام بتدريس الأدب القديم والنقد العربي القديم - وكتب التراث.

3 - أستاذ الدراسات العليا - الدبلوم الأدبي واللغوي - جامعة دمشق منذ 1997 - وما يزال.

4 - الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، والمشاركة في مناقشتها في الجامعات السوريّة والعربيّة...

المهمات الإدارية والعلمية والثقافية

1 - مدير ثانوية - : ثانوية خير الدين الزركلي - مديرية التربية في دمشق - وزارة التربية - (1/ 1/ 1977 - 8/ 10/ 1984م).

2 ـ مقرر جمعية البحوث والدراسات ـ اتحاد الكتاب العرب ـ منذ عام 2001 حتى غاية 2004م.

3 ـ نائب رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ـ (20/ 3/ 2003 ـ 3/ 11/ 2003م) ـ بالمذكرة الإدارية للسيد رئيس الجامعة رقم (204/ و) تاريخ (19/ 3/ 2003م) والمبلغة إلى كلية الآداب برقم (1133/و) ـ في (20/ 3/ 2003م).

4 ـ رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ـ منذ (4/ 11/ 2003م) بالمذكرة الإدارية للسيد رئيس الجامعة رقم (965/م) تاريخ (3/ 11/ 2003م) والمبلغة لكلية الآداب برقم (5062/و) تاريخ (4/ 11/ 2003م) حتى (2009/12/28م).

5 ـ رئيس فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب ـ بالقرار رقم (994) تاريخ (23/ 8/ 2003م) ـ الصادر عن السيد الدكتور رئيس اتحاد الكتاب العرب حتى تسلمه مهام رئاسة الاتحاد في 4/ 9/ 2005م.

6 ـ رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية ـ ابتداء من 4/ 9/ 2005م إثر انتخابات الدورة السابعة للمؤتمر العام السابع لاتحاد الكتاب العرب المنعقد في دمشق (1/ 9/ 2005م) ثم جلسة مجلس

الاتحاد ممن انتخبهم المؤتمر ـ في 3/ 9/ 2005م إذ عقد المجلس جلسته لانتخاب المكتب التنفيذي ورئيسه ــ في قاعة الاجتماعات في مبنى الاتحاد بالمزة الساعة الثامنة مساء...

7 ــ عضو اللجنة الشعبية العربية السورية لدعم الشعب الفلسطيني ومقاومة المشروع الصهيوني.

8 ـ عضو مجلس إدارة الهيئة العامة السورية للكتاب ــ بالمرسوم التشريعي رقم (8) لعام 2006م.

9 ـ عضو مجلس الأمناء لمؤسسة القدس الدولية في سورية.

10 ـ عضو لجنة تحكيم جائزة الدولة التقديرية وجائزة الدولة التشجيعية في وزارة الثقافة.

مؤلفاته المنشورة:

1 ـ الحيوان في الشعر الجاهلي (دار رسلان ـ دمشق ـ 2010م). ط.2

2 ـ مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية (دار رسلان ــ دمشق ــ 2010م). ط2

3 ـ الملل والنحل للشهرستاني : عرض وتعريف (دار دانية دمشق ـ 1990م).

4 ـ الرثاء في الجاهلية والإسلام (دار معد ـ دمشق ـ 1991م).

5 ــ مختارات من الأدب في صدر الإسلام (جامعة دمشق ــ 1992م).

6 ـ قراءات في أدب العصر الأموي (جامعة دمشق ـ 1992 ـ 1993م).

7 ـ قصيدة الرثاء ـ جذور وأطوار ـ دار النمير ومعد ـ دمشق ـ 1998م).

8 ـ في جمالية الكلمة ـ (اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2002م) ـ ط2 ـ دار رسلان ـ دمشق ـ 2011م..

9 ـ ابن المقفع بين حضارتين ـ طباعة المستشارية الإيرانية بدمشق ـ 2003م).

10 ـ إبداع ونقد ـ قراءة جديدة للإبداع في العصر العباسي ـ دار النمير ـ دمشق ـ 2003م).

11 ـ المسبار في النقد الأدبي ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2003م ـ ط2 ـ دار رسلان ـ دمشق ـ 2011م..

12 ـ نصوص من الأدب العربي المعاصر ـ بالاشتراك ـ (جامعة دمشق ـ 2005م).

13 ـ جمالية الخبر والإنشاء ـ دراسة جمالية أسلوبية ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2005م ـ ط2 ـ دار رسلان ـ دمشق ـ 2012م.

14 ـ التقابل الجمالي في النص القرآني ـ دار النمير ـ دمشق ـ ط1 ـ 2005م.

15 - مرايا للالتقاء والارتقاء ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق 2005م.
16 ـ مشروع القومية العربية إلى أين؟ ـ دار الفرقد ـ دمشق 2006م.
17 ـ المقاومة قراءة في التاريخ والواقع والآفاق — اتحاد الكتاب العرب — دمشق — 2007م.
18 ـ اللغة العربية إرث وارتقاء حياة — اتحاد الكتاب العرب — دمشق — 2008م.
19 ـ قضايا في الفكر السياسي والقومي ـ دراسة ـ مؤسسة الشرق ـ دمشق ـ 2009م.
20ـ ملامح في الأدب المقاوم/ فلسطين أنموذجاً ـ الهيئة العامة السورية للكتاب ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ 2009م.
21 ـ من القدس إلى غزة ـ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2010م.
22 ـ حراس الكلمة والموقف ـ دراسة في الشخصيات ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2011م.
23 ـ قضايا ومبدعون (دراسة في الشخصيات) ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2012م.
24 ـ من النكبة إلى المقاومة والتجدد ـ دراسة ـ سلسلة كتاب الجيب ـ رقم 63 ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2012م.

25 ــ سورية (الاستهداف والمؤامرة) ــ دار مؤسسة الشرق ــ دمشق ـ 2014م.

26 ـ تجليات التصوف وجماليته في الأدبين العربي والفارسي ــ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2013م.

27 ـ أسماء في الذاكرة ـ دراسة في الشخصيات ــ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ .2014

28 ــ التهويد من القدس إلى غزة... إلى...؟!! ــ دار الشرق للطباعة والنشر ـ دمشق ـ .2014

29 ـ ثقافة المقاومة إعادة بناء الذات العربية ـ دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر ـ دمشق ـ .2014

30 ـ الأزمة السورية وثقافة التكفير الإرهابي ــ وزارة الثقافة ــ الهيئة العامة السورية للكتاب ـ دمشق 2015م.

31 ـ أوراق روح تحترق ـ شعر ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق 2015م.

32 ـ نثائر المواجهة ؛ رسائل مقاومة ـ قصائد نثرية ـ وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب ـ دمشق ـ 2015م.

33 ـ سنابل القلق ـ شعر ـ دار رسلان ـ دمشق ـ 2015م.

المحتوى